الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم :العلوم الاجتماعية
شعبة: الفلسفة

محاضرات في الفكر الشرقي

السنة الثانية ليسانس – فلسفة

مطبوعة بيداغوجية وفق برنامج عرض التكوين

اعداد الدكتورة : برواق مليكة

السنة الجامعية: 2023/2022

فهرس المحتويات

المقدمة.....
الإرهاصات الفلسفية ومغامرات العقل الأولى في الفكر الشرقي.....
الفكر الشرقي القديم طبيعته وخصائصه.....
أولا : طبيعة الفكر الشرقي .....

ثانيا :ملامح وخصائص الفكر الشرقي القديم.....

ثالثا :التأسيس الشرقي القديم للفكر الفلسفي وأثره في نشأة الفلسفة اليونانية.....

أ: منكروا أصالة الشرق في الفلسفة.....

ب: مؤيدو الأصالة الشرقية.....

رابعا: أهم المشكلات التي عالجتها الفلسفات الشرقية:.....

الفكر الصيني.....

اولا - في تاريخية الفكر الصيني وخصوصيته.....

ثانيا : طبيعة الفكر الصيني .....

ثالثا :خصائص الفكر الصيني:.....

رابعا : الديـن والـتعبيرات الفنـية في الفكر الصيني .....

كونفشيوس.....

اولا : من هو كونفشيوس مذهبة وتوجه الفكري .....

ثانيا :الأخلاق.....

ثالثا :الكونفشيوسية :.....

رابعا :المصادر المرجعية (الدينية والفكرية المؤسسة للكونفوشيوسية.....

الفكر الهندي.....

تاريخية الفكر الهندي: النشأة والتطور والخصوصية.....

طبيعة الفكر الهندي ومميزاته .....

الدين والفن في الفكر الهندي.....

البوذية.....

أولا: بوذا: (560 – 480 ق.م.)ومعالم مذهبه .....

ثانيا: البوذية. الأفكار والمعتقدات -.....

الأخلاق:.....

الفكر الفارسي .....

ا ــ تاريخيته(النشأة والتطور)، وخصائصه:.....

خصائص الفكر الفارسي.....
المانوية-.....
اولا :مانو ومذهبه .....
ثانيا : طبيعة الفكر المانوي (الافكار والمعتقدات)).....

الزرادشتية:.....

مذهب زرادشت و مذهبه وتوجه الفكري: .....

الفلسفة الزراديتشية:.....

الفكر البابلي.....

أ ــ الفكر البابلي: سياقه الحضاري وخصائصه.....

ب ـ الخصائص والسمات العامة للفكر البابلي:.....
الفكر السومري.....
المناخ الحضاري للفكر السومري :النشأة والخصوصية .....

طبيعة الفكر التأملي السومري وخصوصيته:.....

المكونات البنيوية للمنظومة الفكرية السومرية:.....

الفكر المصري: .....

تاريخية الفكر المصري .. طبيعته ومميزاته:.....

النفس ومسألة الخلود.....

نظريات العدالة وفلسفة الماعت (الحق والاستقامة):.....

علاقة الفلسفة بالفن المصري القديم .....

الفكر الشرقي وفعل التدوين (دراسة أسباب غياب الأثر).....

محتوى المقياس وفق برنامج عرض التكوين

السداسي الثالث

وحدة التعليم: الأساسية

المادة: فكر شرقي

الرصيد:5

المعامل: 2

أهداف التعليم

(ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر)

- التعرف عل الفكر الشرقي

المعارف المسبقة المطلوبة

(وصف مختصر للمعرفة المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر)

ثقافة عامة

محتوى المادة:

- الإرهاصات الفلسفية ومغامرات العقل الأولى في الفكر الشرقي (الإنسان، الطبيعة، الخلود، الألوهية، القانون، العدل، المجتمع، .....
- الفكر الصيني (الكنفوشية ...)
- الفكر الهندي (البوذية .....)
- فكر حضارات ما بين النهرين الفكر الفارسي (المانوية، الزرادشتية ....) الفكر البابلي، الفكر السومري..
- الفكر المصري (نظريات العدالة وفلسفة الماعت -أي الحق والاستقامة-.....)
- الفكر الشرقي وفعل التدوين (دراسة أسباب غياب الأثر).
  - **- المراجع:** (*كتب ومطبوعات ، مواقع انترنت*، إلخ..
  - **طريقة التقييم** (مراقبة مستمرة والامتحان)

- **المقدمة :**

سند بيداغوجي موجه لطلبة السنة الثانية فلسفة شعبة الفلسفة، وهو يتعلق بمقياس الفكر الشرقي. وهو مقسم إلى ستة محاور، حسب الحضارات الشرقية القديمة التي سادت في فترة ما قبل الميلاد.

يتعلق المحور الأول بالإرهاصات الفلسفية الأولى ومغامرات العقل الأولى في الفكر الشرقي القديم وما هي أهم العوامل التي أدت إلى ظهور الفلسفة. تناولنا فيه طبيعة الفكر الشرقي وخصائصه وما هي أهم المشكلات الفلسفية التي عالجها الفكر الشرقي القديم .

أما المحور الثاني فهو يتعلق بالفكر الصيني، باعتباره بوابة الفكر الشرقي القديم لأن معالم الفكر الصيني حققت جوازا نقليا بالفكر بشكل عام باعتبار ما أثبته الفكر الصيني على انه فكر ناجح فكر عملي حياتي في مقدمة الفكر الصيني تناولت فيه (**الكنفشيوسية**) والتي تجسد مذهب، يتداخل فيه الديني مع الفلسفي والعلمي، ويؤسس فيه النظري للعملي.

أما في المحور الثالث فيتعلق بالفكر الهندي القديم في سياقه التاريخي والحضاري المرتبط بالفكر الشرقي القديم، وبداية نشأته وتطوره التي تجسدت من خلال المرحلتين:الأولى (**الفيدية)** والثانية(**الملحمية**)، كما تطرقت الى أهم خصائص ومميزات الفلسفة الهندية ،بعد ذلك تطرقنا الى **(البوذية)** والتي تعتبر نظاماً أخلاقياً ومذهباً فكرياً مبنياً على نظريات فلسفية، وتعاليمها ليست وحياً، وإنما هي آراء وعقائد في إطار ديني،وهي أقرب إلى فلسفة الحياة منها إلى الدِّين حيث لا تؤمن بإله، وتقوم على التَّجرُّد والزُّهد تخلُّصًا من الشهوات والألم وطريقًا إلى الفناء التَّام، وتقول بالتَّناسخ ومبدأ السببيَّة، وتنكر البعث والحساب، واهتمت البوذية بشكل أساسي على بتفسير **"الدارما"** والتي تعني "الحقيقة".

أما **المحور الرابع** فجاء بعنوان فكر حضارات ما بين النهرين و يمثل فكر بلاد مابين نهرين عامة حلقة من حلقات الفكر الشرقي القديم ، وهو ينطوي على منظومة معرفية تتشكل من ثلاثة محاور هي : المحور (**الميثولوجي)** أي المحور الأسطوري- المحور (**الثيولوجي)** أي المحور الديني. – المحور (**الفلسفي)** أي المحور الإنساني،بحيث شكلت هذه المحاور الثلاث(**الميثولوجية ،والثيولوجية ،والفلسفية**)؛ المكونات البنيوية للمرجعية المؤسسة والموجهة للفكر بلاد مابين النهرين عامة والذي اندرج تحت هذا المحور مجموعة من الدروس والممثلة في : (**الفكر الفارسي، الفكر البابلي، الفكر السومري..)**

ثم **المحور الخامس** والمتعلق ب **الفكر المصري** (نظريات العدالة وفلسفة الماعت -أي الحق والاستقامة-.....) الفكر المصري القديم وكيف ساهم في تأسيس مجموعة من الأفكار الفلسفية ذات الصلة بمجال الوجود ومجال القيم وركز كثيرا على الجانب العملي للحياة وساهم في المجال العلمي كما تبين ذلك من الآثار المختلفة لهذه الحضارة. إلا أنها وفي جميع الأحوال لا تشكل إلا مرحلة أوليه من مراحل الفكر الإنساني الطويل.

المحور **السادس** والأخير فهو يتعلق بالفكر الشرقي وفعل التدوين (**دراسة أسباب غياب الأثر)**، فالانسان الشرقي القديم يختصر المسافة بين الفكر والواقع بشكل يبدو معه انه لا يفكر إلا لكي يعمل ،بل أن نمو فكرة وتطوير هذه الأفكار إنما يكون من خلال العمل وتراكم الخبرات الناتجة عن العمل وممارسة الحياة اليومية.
حاولت من خلال هذه **(الدروس والمحاضرات)** التركيز على الجوانب المعرفية الأساسية، وهذا راجع لخصوصية وطبيعة مقياس الفكر الشرقي القديم التي تتناول مختلف المسائل الفلسفية من زاوية معرفية .
وقد ركزت على الأسلوب **البيداغوجي** المبسط الذي يراعي سهولة ويسر الفهم بالنسبة للطلبة، كما حاولت قدر الإمكان الاعتماد على مراجع وموسوعات هذه الفلسفة. وفي الأخير فإن هذا العمل سوف ويبقى النظر إليه**(السند البيداغوجي)** على أنه مؤقت، ويجتاح إلى التحسين والمراجعة باستمرار، وبقدر ما يتواصل تدريس المقياس يتواصل التأمل والحاجة إلى الاستبدال والتنقيح .

ولا يعدو هذا السند التربوي أن يكون في حقيقة أمره مجرد مرشد و دليل يساعد الطلاب على ما يقدمه لهم من معلومات جاهزة منظمة و مبسطة ، تغنيـهم عن التيه في مراجع كثيرة عديدة ولابد من الإشارة إلى أن دور الأستاذ ضروري وأساسي فهو الذي يستطيع بفضل الممارسة المستمرة و الاحتكاك اليومي بطلابه،وتتبعه الدائم لتطور مستواه الثقافي ومشاغلهم الفكرية أن يقدم لهم ما هو مناسب في الوقت المناسب ، وبالطريقة المناسبة.

على ضوء هذه الاعتبارات كلها ووفق البرنامج الجديد كانت هذه دروسا ،ومهما ابدع فيه الأستاذ لابد ،أن يشوبه نقص ولا بد أن يكتنفه غموض ولابد أن تفوته مسائل .

- **أهداف التعلم:**

1-محاولة الكشف عن طبيعة الفكر الشرقي القديم والذي مازالت تأثيراته ممتدة حتى المرحلة المعاصرة .
2-لا شك أن الفكر الشرقي القديم هو تلك الفلسفات التي قدمتها أمم الهند والصين وبلاد فارس وواد الرافدين وواد النيل، وبلاد العرب بامتدادها الجغرافي من المحيط إلى الخليج خلال حقبة التاريخ القديم.
3-. معرفة كيف تأسست وتبلورت التجربة الفكرية لدى أولى الحضارات الإنسانية، وهي حضارات "الشرق القديم" المختلفة، وكيف بدأ العقل الإنساني يبحث عن الحقيقة في كل نواحي الوجود والحياة.

- **طريقة تقييم التعلم:**

يتم التقييم في هذا المقياس عن طريق:
أولا : امتحان كتابي حضوري في نهاية السداسي، تتم برمجة زمانه ومكانه من طرف الادارة.
ثانيا: تكون اجابة الامتحان فيه على شكل مقال تحليلي، ويتم فيه مراعاة ما يلي:

1- المنهجية
2- تحديد المطلوب
3- سلامة اللغة والخط

- **نشاطات التعلم:**

1- يتم إعطاء الطلبة مجموعة من الأعمال الاختيارية قصد البحث فيها.
2- يتم منح الطلبة مجموعة من المراجع اختيارية أيضا لقراءتها وتلخيص أهم أفكارها.
3- محاولة إقامة حوار داخل الحصص من أجل تبادل المعارف، وتثبيت الصحيح وتصحيح الخطأ لدى الطلبة.
4- إنشاء مجموعة خاصة للتواصل مع الطلبة مستعينين في ذلك بشبكات التواصل الاجتماعي.
5- فتح مجال اللقاء الافتراضي (عن بعد) في منصة مودل حسب التوقيت المبرمج من طرفي والمعلن عنه مسبقا.

-

مدخل:

يعتبر الفكر الشرقي القديم من أهم فترات التاريخ الإنساني ،زمنيا ومكانيا ،وتعود الأهمية الزمانية إلى إن الفكر الشرقي القديم يعتبر أولى مغامرات الإنسان ، وبالغوص في كما تعود أهمية هذه المرحلة من الناحية الجغرافية إلى أن منطقة الشرق تعتبر مهبط الرسالات السماوية ومنبث العديد من الحضارات كالهند والصين وبابل ومصر... بالغوص في سمات الفكر الشرقي القديم نجد انه يمثل مصدرا لجميع اتجاهات الفكر في العالم الراهن، وأنه يميل إلى البساطة واللجوء الى التفسيرات الخرافية... والإشكالية الرئيسية التي تواجه

دارس الشرق القديم ،في البداية هي : هل يوجد فكر أم فلسفة في هذه الفترة من تاريخ الإنسانية ؟

وتتجلى أهمية هذا المقياس أكثر من خلال انه يمنح الطلبة فرصة التفتح على خصوصيات ومنشأ حضارات الشرق القديم والتعرف على خصوصيات الفكر الفلسفي لمختلف حضارات الشرق القديم. و كيف بدأ العقل الإنساني يبحث عن الحقيقة في كل نواحي الوجود والحياة، أي كيف بدأت مغامرة العقل الإنساني الأولى لاكتشاف طبيعة العالم الذي ظهر فيه هذا الإنسان (الشرقي).

المحور الأول : الإرهاصات الفلسفية ومغامرات العقل الأولى في الفكر الشرقي

المحاضرة الأولى : الفكر الشرقي القديم طبيعته وخصائصه

- **تمهيد:**

إن الوقوف على حقيقة ومحتوى الفكر الشرقي القديم تفرضه ضرورة معرفة كيف تجسدت وتبلورت التجربة الفكرية لدى أولى الحضارات الإنسانية، وهي حضارات "الشرق القديم" المختلفة، وكيف بدأ العقل الإنساني يبحث عن الحقيقة في كل نواحي الوجود والحياة، أي كيف بدأت مغامرة العقل الإنساني الأولى لاكتشاف طبيعة العالم الذي ظهر فيه هذا الإنسان (الشرقي).

- **أولا : طبيعة الفكر الشرقي :**

إن المقصود بالفكر الشرقي القديم؛ هو الفكر الذي أبدعه إنسان حضارات الشرق القديمة في مصر والعراق والصين والهند وفارس أو بلاد ما بين النهرين، ويتحدد ذلك زمانيا بما قبل ظهور الفلسفة اليونانية في القرن السادس قبل الميلاد. و أن التاريخ المكتوب للحضارات الشرقية القديمة يعود إلى حوالي القرن الأربعين قبل الميلاد. [1]

[1] مصطفى حسن النشار: "الفلسفة الشرقية القديمة"، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1،2011 ص 17

أي كل ما تخيله وفكر فيه وأبدعه الإنسان الشرقي وحاول تفسيره فيما قبل الميلاد يعتبر موضوعا للدراسة في إطار الفكر الشرقي القديم. وقد تمثلت الموضوعات التي استهدفها تساؤله وتفكيره في قضيا الألوهية وتصورات نشأة العالم، والوجود الإنساني في ماهيته وصور فاعليته في الحياة، أي البحث في حياته السياسية والأخلاقية والدينية ومحاولة فهمها وتفسيرها تفسيرا تأمليا أسطوريا .... الخ

يقول (كرولي):" ليس للإنسان البدائي إلا أسلوب واحد للتفكير ،وأسلوب واحد للتعبير ،وأسلوب واحد للكلام –الأسلوب الشخصي". [2]

فالمقصود هنا أن الإنسان القديم كان يعامل العالم من حوله وكأنه جزء منه ،ولم يميز بين الذات والموضوع في مطارحاته الفكرية ،والأسلوب الشخصي يقابله الأسلوب الروحي .

فلا يمكن بحال من الأحوال نفي صفة التفكير عن إنسان الشرق القديم ،إلا أن طريقة التفكير وما تولده (طبيعة الفكر) هي التي يمكن أن نصفها بالسذاجة ،وهي التي أعطت الحجة لبعض الدارسين لوصف هذه المرحلة من تاريخ الإنسانية بالبدائية وطبيعة التفكير لدى الشرقيين القدامى ،فوصف الحوادث والظواهر لم يكن كشفا للروابط والعلاقات المنطقية والعلمية التي تتعلق بواسطتها أجزاء ظاهرة ما ، بل بذهنية قصصية ،خرافية أسطورية ،فالبابليون مثلا كانوا يفسرون "ظاهرة هطول لمطر من خلال وساطة :"الطير العملاقي **(امدوغود)** إذ جاء لاتقادهم ،فكسا السماء بما في جناحيه من سحب الزوابع السوداء ،والتهم ثور السماء الذي كان قد احرق الزرع بأنفاسه الملتهبة".[3]

فقد كان الفكر الشرقي القديم إذن أول من تبلور لديه بواعث الاهتمام والتأمل والتفكير بمختلف القضايا ؛ فقد كان من الطبيعي أن يتساءل الإنسان منذ ظهوره على وجه الأرض عن أصله وأصل هذا العالم الطبيعي الذي يعيش فيه، وأن يبحث عن تفسيرات للظواهر الطبيعية المختلفة، كما من الطبيعي أن يفسر علاقته بالطبيعة وبظواهرها.

ثانيا :ملامح وخصائص الفكر الشرقي القديم:

تعود ملامح وسمات الفكر الشرقي القديم إلى البيئة الجغرافية الشرقية وخصوصية الحضارات التي نشأت فيها. حيث كانت بيئة زراعية؛ اعتمد سكانها في صيرورة حياتهم على مياه الأنهار في استغلال الأراضي. فترتب عن ذلك أن كانت الحضارات الشرقية القديمة؛ حضارات زراعية، مكنتها هذه الخصوصية الجغرافية من الاستقرار السياسي والاجتماعي الذي فرضته طبيعة النشاط الزراعي. "كما تميّز نظام الحكم فيها بالمركزية النظر إلى الحاكم نظرة تقديس واحترام شديد لما يمثّله من سلطة تتحكم في كل شيء، لأنها

[2] . ه.فرانكفورت واخرون :ماقبل الفلسفة ،الانسان في مغامراته الفكرية الاولى ،تر جبرا ابراهيم جبرا المدرسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان ط 1980ص17

[3] المرجع نفسه ص ص 17 18

تتحكم بداية في سير الحياة على الأرض، أي المياه، كما أنه مصدر الحكمة الملهمة. وقد قدّست شعوب الشرق القديمة حاكمها لدرجة عبادته، والنظر إليه على أنه الإله المتصرف في كل شيء.

وقد رسّخت هذه النظرة التأليهية للحاكم لدى الإنسان الشرقي القديم حب الحاكم وطاعته والالتزام بالنظام. وقد انعكس ذلك على طبيعة الفكر الذي ساد في منطقة الشرق القديم. ووسمه بسمات وملامح خاصة ميّزته وانفرد بها والتي تتمثل فيما يلي:

- **التطور البطيء للفكر:**

اتسم الفكر الشرقي القديم بهذه السمة نظرا لما تمتعت به المجتمعات الشرقية من استقرار اساه الاعتماد على الزراعة والرعي وغير ذلك من لامهن الطبيعية التي لا تتطلب من الإنسان بذل الجهد الفردي ولا تشجعه على الانفراد بالرأي ،فهي بيئة تشجع على الالتزام الجماعي وعلى التفاف الأفراد بعضهم حول بعض ،وتلزمهم كذلك بالالتفاف حول أفكار معينة يشتركون في اعتناقها وتبجيلها.[4]

فالنمط الجماعي الذي فرضه النشاط الزراعي في العيش والعمل جعل من الإنسان الشرقي عمليا أكثر منه نظريا مما حدّ من المجهود الفكري الفردي، والاكتفاء بأفكار عامة مشتركة بين الجماعة الواحدة داخل إقليم جغرافي محدد.

وهو ما يفيد "أن الفكر الفردي لفيلسوف الشرق القديم جاء في الأغلب معبرا عن فكر الجماعة التي ينتمي إليها مع تجديد طفيف ، ويتمثل في تراث شعبه الديني والأخلاقي والاجتماعي والسياسي... [ومثال ذلك]؛ فما قدمه **(بتاح حوتب)** مفكر القرن 27 ق م في مصر القديمة إلا خلاصة التجربة الفكرية المصرية للمصريين القدامى.... وكذلك الحال في الفكر الصيني، فما قده كونفوشيوس من فكر أخلاقي وسياسي لم يكم غريبا على التراث الصيني"، وكذلك بالنسبة للقطات الفكرية الأخرى في الشرق القديم: ففكر (بوذا) قد انطلق من التعاليم الفيدية التي عبرت عنها نصوص الأوبانيشادا، وفكر زرادشت جاء معبر عن تراث الفرسالقداماء في الاعتقاد بالثنائية الأخلاقية والثنائية الإلهية....الخ.[5]

- **التركيز على المبادئ الدينية والأخلاقية والروحانية:**

لقد اتسم الفكر الشرقي القديم بالطابع الديني الأخلاقي في مرجعيته التفسيرية والتبريرية الأسطورية. وقد تجلى ذلك في رؤى وتصورات الإنسان الشرقي حول الطبيعة وظواهرها، إذ كانت تفسيراته لها منطلقة من قناعاته الأخلاقية ومعتقداته الدينية. كما اعتمد عليها في تحديد معايير السلوك القويم في المجتمع. وهذه المبادئ الأخلاقية والدينية التي

[4] مصطفى حسن النشار: "الفلسفة الشرقية القديمة، مرجع سابق ص 20

[5] مصطفى حسن النشار: "الفلسفة الشرقية القديمة، مرجع سابق ص ص 20 21

اتخذها مرجعية للتفكير ومعايير للسلوك الفردي والجمعي؛ ربطها بمبادئ ميتافيزيقية، شكّلت أساسا روحانيا لإيمانه بالخلود والعالم الآخر مثلما حدث في مصر القديمة، أو إيمانه بالخلاص والاتحاد بالبراهما كما في الهند القديمة... إلخ.

وقد ترتب عن تفكير الإنسان الشرقي في الظواهر الطبيعية والاجتماعية استنادا إلى قناعاته الأخلاقية والدينية في أساسها الماورائي الروحاني نشأة التأليه، وكيف لعبت الآلهة/ الإله الدور الأهم حياته. حيث انتهى به الأمر إلى عبادة مظاهر الطبيعة وتأليهها. [6]

- **النزعة العملية:**

من المثفق عليه تاريخيا أن الشرقيين القدامى كانوا عمليين في تفكيرهم، أن كل إنجازاتهم الحضارية تحققت وتجسدت في هذا التوجه العملي. الأمر الذي جعله لم ينتبه ولم يهتم بالنظر العقلي المجرد. " فالإنسان الشرقي القديم يختصر المسافة بين الفكر والواقع بشكل يبدو معه أنه لا يفكر إلا لكي يعمل". وذلك راجع إلى "خاصية أصيلة في الإنسان الشرقي عموما هي أنه لا يحب الإغراق في التفاصيل ولا يحب الاستماع إلى التحليلات النظرية المجردة، إنه دائما يبحث عن النتيجة أو جوهر الفكرة دون أن يهتم بالتفاصيل.[7]

وهو ما يفيد أن ما يهم الإنسان الشرقي القديم أن يعمل بما تتضمنه الفكرة ولا يقف عند الفكرة في ذاتها ولذاتها.

4 ــ التكامل بين المعرفة والحياة:

إن ميزة "النزعة العملية" التي اتسم بها الإنسان الشرقي القديم؛ أكسبت الحضارات الشرقية القديمة طابع التكامل بين الفكر والحياة: فالمعتقدات الدينية والمبادئ الأخلاقية والأفكار السياسية، لم يُنَظّر لها لتتبلور في نظريات ومذاهب فلسفية مجردة، بل تجسدت عمليا وواقعيا من خلال مواقف أخلاقية وممارسات سياسية في المجتمع، توغلت وتغلغلت في الحياة اليومية. ومثال ذلك؛ "أن النظر في بلاد الشرق القديم يوضح لنا كيف أن المبادئ الخلقية عند **(بتاح حوتب)** مثلا قد أصبحت متداولة بين الناس، وأثرت في حياتهم".[8]

وكخلاصة لما سبق يمكن اختزال ملامح وخصائص الفكر الشرقي القديم في النقاط التالية:

---

[6] المرجع نفسه ، ص 22

[7] مصطفى حسن النشار: "الفلسفة الشرقية القديمة، مرجع سابق ص 24

[8] المرجع نفسه ص 27

1 ـ يمثل مصدرا لجميع اتجاهات الفكر في العالم الراهن.

2 ـ يميل إلى البساطة واللجوء إلى التفسيرات الأسطورية.

3 ـ يتضمن ثلاث موضوعات رئيسية هي: طبيعة الكون ـ وظيفة الدولة ـ قيم الحياة.

4 ـ يختلط فيه الفكر التأملي بالتفاسير والمعتقدات الدينية.

5 ـ يتميز بالتمسك بالتراث والاحترام العميق لكل ما هو القديم.

6 ـ يحتوي على منظومة متكاملة من المعرفة؛ تشمل النظر والأخلاق والميتافيزيقا...

ثالثا :التأسيس الشرقي القديم للفكر الفلسفي وأثره في نشأة الفلسفة اليونانية:

تعني الفلسفة عموما البحث في ماهية الأشياء وأصولها، وعلاقاتها بالإنسان ،وعلاقة الإنسان بها وهو الفعل الذي صاحب الإنسانية بفضل هاجس الفضول الذي فطر عليه الإنسان، يدرك أن له في حياته وعلاقاته وتأثيراته بعدا أخلاقيا واجتماعيا وإنسانيا .وهو ما يمكن التدليل عليه بالنسبة لكل المجتمعات البشرية بما فيها المجتمعات الشرقية منذ فجر التاريخ.

فلم تنشأ الفلسفة بمعزل عن منجزات الإنسان العقيدية والعلمية والحضارية ،ولا يمكننا أن نفهم تلك المنجزات إذ لم نتابع الذخيرة الفلسفية للمجتمعات المختلفة ،ولأن تاريخ الفلسفة على رأي **هيغل** – هو تعبير عن تاريخ العقل والوجود ومنطقها هو القانون المثلث الذي يحكم تجليات العقل في عالم الطبيعة ،فكانت النظم الاجتماعية والفنون والأديان والعلوم .[9]

إذن انه لمن الغير ممكن ، تصور قيام حضارة أصلية دون فلسفة بمستواها ،وإذا كانت الفلسفة لها هذا التأثير الضخم في حضارات البشرية ،فإنه لا يمكن فصل الفكر الفلسفي عن بيئته الحضارية والتاريخية، فالفلسفة إذن ملتصقة بالحضارة ،والفكر الفلسفي ما هو إلا حصيلة أفكار البشر خلال التطور التاريخي للإنسانية .

ونشأة الفلسفة -بهذا المعنى – صارت منذ عصور بعيدة مشكلة من بين المشكلات التي تدرسها الفلسفة في محاولة للإجابة عن السؤال اين نشأت وتبلوت التجربة الفكرية ؟في بلاد اليونان؟ ام في بلاد الشرق القديم ؟

انقسم الباحثون حيال هذه المشكلة – اين نشأت الفلسفة – الى فريقين فريق أول يؤيد النشأة في بلاد اليونان ،ويرى أن الفكر الشرقي لم يكن سوى فكر لاهوتي من ألفه الى يائه .

[9] جمال المرزوقي: "الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، دار الآفاق العربية، ط1، 2001ص 15

أما الفريق الآخر فقد رأى أن هناك فلسفة شرقية خاصة ترتبط بالدين أحيانا وتنفصل عنه أحيانا أخرى .

أ: <u>منكروا أصالة الشرق في الفلسفة</u>: كان أرسطو أول من رد الفلسفة الى بلاد اليونان عندما ذهب إلى أن طاليس هو مؤسس الفلسفة الطبيعية ،وينتهي اصحاب الصورة المتطرفة لهذا الرأي الى جعل علوم وفكر اليونان الطبيعيين نتاج العقل اليوناني الخالص ،ولهذا الرأي أنصار نذكر منهم **زيلر ،ألكسندر ،وبريبنت**

- **1 زيلر: (1814ـــ1904)**الذي يرى أن الفلسفة إبتكار إغريقي، وأن الأمم السابقة قد اختلط تفكيرها بالدين، وإن سلمنا بوجود بعض الفلسفة فيعوزها التعبير الفلسفي. وهو يرد تفوق اليونان على غيرها شعورهم القوي بالحقيقة، والوضوح والنظام والاعتدال وقدرتهم الفائقة على التجريد والتخيل وتوافرهم على قدرات عقلية وانفعالية .

يقول زيلر:نجد توضيحا لظهور الفلسفة اليونانية ،ولكن هذا الظهور يعود بالدرجة الأولى لمواهبهم الخاصة مثل القدرة على التخيل والقدرات العقلية والانفعالية ،وقد اجتمعت كلها بشكل مثمر ،وكان الى جانب عاطفتهم وإخلاصهم شعور بالحقيقة والوضوح والنظام والاعتدال والخضوع للتعاون ،سواء في السياسة او الفن ،والأغارقة أنفسهم يربطون هذا كله بمناخهم المشمس رغم عدم غنى أرضهم ،كما إن الموقع الجغرافي والتجاري ،ساعدهم على الاستفادة من سواهم ،ولكن ما استعاروه استحال وطور بما يتفق وطريقتهم الخاصة والفلسفة هي من خلقهم الخاص ،حالما ساعدهم التقدم البشري قبلهم على عبور مراحل الطفولة والخرافة [10].

- **2 ألكسندر**: يذهب ألكسندر إلى ما ذهب إليه **زيلر** فيقول:" إذا اعتبرنا أن الفلسفة هي البحث المنظم عن ماهية الأشياء، فإن مكانها الأصلي هو بلاد الاغريق، وبقدر ما نعرف فإن الهنود هم الشعب الوحيد مع الإغريق الذين كان عندهم ما يمكن أن يعتبر فلسفة، لكن لا يوجد باحث الآن يقترح أن الإغريق أخذوا فلسفتهم عن الهنود، بل العكس صحيح "وهو يرد عن القائلين بالأصل الشرقي للعلوم عند الإغريق بالاختلاف الموجود بين العلمين، فعلم الشرقيين عملي، وعلم الإغريق نظري. ويرد تفوق الإغريق لعوامل جغرافية، وإلى حبهم الاستطلاع ومقدرتهم على التعميم، وحبهم الحياة، وإحساسهم بالجمال.

- **برينت:** دافع برينت هو الأخر عن الأصالة المطلقة للعلم والفكر اليوناني ويذهب الى أن آراء البابليين والمصريين في تفسير خلق العالم من المادة أراء أسطورية ،وان

[10] جمال المرزوقي: "الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، مرجع سابق ص 21

الشيء الذي اعتبر طاليس – والفلاسفة الطبيعيون من بعده – فلاسفة ليس قوله بأن أصل الأشياء هو الماء ،بل إثارته للسؤال نفسه :ما هو أصل الأشياء ؟أي دراسة الظواهر الطبيعية دراسة طبيعية وعلى أساس عقلي طبيعي ،وانه إذا كان هناك إقرار بوجود علوم عند البابليين والمصريين ،حيث يرى وصول البابليين والمصريين الى معرفة نظرية في الرياضيات (هندسة وحساب).[11]

إلا أنها لم تصل الى طور التنظير او التحديد العقلي ،بل هي عملية بحثت ،بينما هي نظرية وعلم بحث منظر ومجرد عند اليونان

.ب: مؤيدو الأصالة الشرقية: وعلى العكس من التيار الأول وجد من يدافع عن أصالة الفلسفة في الشرق، منطلقين من أسبقيته الحضارية، ووافق هذا الرأي جملة من الفلاسفة الغربيون أنفسهم وخاصة من المتأخرين من أهمهم **ديوجانس، سارتون، هوبهوز، أورسيل، توملين، كولر، ومارتن برنال** .

:ديوجانس: ارجع نشأة الفلسفة الى الشرق في قوله :أن الاجتماع منعقد على وجود علم وتقدم لدى الشرق قبل اليونان ،كما ان الشرقيين سبقوا اليونان في مجال التفكير النظري الديني .

سارتون: الذي يرى أنه من السذاجة إهمال العلم الشرقي، فلولا ذلك التراكم الذي أحدثه الشرقيين في العلم لما كان علم يوناني، وهو يسمي عمل اليونان إحياء وليس خلقا. كما أن أجواء الخرافة التي نشأ فيه العلم الشرقي هو ذاته الجو الذي شهده العلم عند اليونان، ولولا ما قدمه الشرقيون لما تطور العلم عندهم، وهو يرى أن العم ينشأ حين يقرر بعض الناس حل بعض معضلات الحياة. [12]

كما أن التجريد الذي يقود للعلم النظري لم يقتصر على اليونان، كما أنه لا يأخذ طبيعة واحدة، فظهور الأعداد التي هي عملية مجردة ظهر حتى قبل حضارات الشرق...

-هوبهوز: الذي يرى أنه لا الفكر ولا المنطق ولا الميتافيزيقا بدأ مع اليونان، حيث وضعت أسس التفكير قبلهم، مثل تسمية الأشياء، تميز الأشياء عن بعضها البعض، معرفة خصائصها واستخداماتها، إدراك العلاقات فيما بينها. وكذا مزاولة الإنسان المقولات العقلية، وتطبيقها ويظهر ذلك في أحكامه الخلقية وقوانينه وهندسته وزراعته.[13]

وما نخلص إليه في الأخير أصالة الفلسفة والعلوم عند الشرقيين، الذين سبقوا في كثير منها اليونان، بل كانوا أساتذة لهم في أكثرها، لكنه جحود الغرب وتعصبه ونرجسيته ما يتركه ينظر للألمور على غير حقيقتها.

---

[11] جمال المرزوقي: "الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، مرجع سابق ص 26

[12] جمال المرزوقي: "الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، مرجع سابق ص 32

[13] المرجع نفسه ص 38

وما يثبت ظهور إرهاصات التفلسف في الشرق القديم ومن ثم أثره وإسهامه في نشأة الفلسفة اليونانية ما يلي:

1 ـ السبق التاريخي: حيث إن الحضارات الشرقية أسبق من الحضارة اليونانية.

2 ـ تأكيد بعض مؤرخي الفلسفة؛ أن الفلسفة جاءت من الهند (الشرق).

3 ـ قيام حضارات عريقة في الشرق على أساس من الفلسفة والعلم.

4 ـ كثير من الأفكار الفلسفية اليونانية \ات ملامح شرقية

5 ـ إعتراف بعض فلسفة اليونان بدراستهم في الشرق، كأفلاطون وأرسطو.

6 ـ تأثر الغنوصية اليونانية مملة بأفلاطون وفورفوريوس بالغنوصية الهندية في نظريات الفيض والتناسخ.

رابعا: أهم المشكلات التي عالجتها الفلسفات الشرقية: تعرضت الفلسفات الشرقية لجملة من المشكلات هي ذاتها المشكلات التي تعرضت لها باقي الفلسفات التي أتت بعدها بداية من الفلسفة اليونانية، أهمها مشكلات الإنسان، الطبيعة، الخلود، الالوهية، القانون، العدل، المجتمع، والمعرفة.... والملاحظ أنها مشكلات تمس مختلف فروع الفلسفة ومباحثها، فمن موضوعات الوجود والميتافيزيقا، إلى موضوعات المعرفة، إلى موضوعات القيم. وسنتعرض لنماذج من هذه المشكلات عند تناولنا لمختلف الفلسفات الشرقية.

المحور الثاني : الفكر الصيني (الكنفوشية ...)

المحاضرة الثانية : الفكر الصيني

اولا - في تاريخية الفكر الصيني وخصوصيته: تقع الصين في شرق آسيا ،وأراضيها مترامية الأطراف وتتمتع بالتاريخ والثقافة الموغلة في القدم ، وقبل مليون سنة تقريبا عمل الأجداد الأوائل للأمة الصينية وعاشوا وتناسلوا فوق هذه الأراضي الشاسعة .[14]

عاش في بلاد الصين شعب ذو ثقافة موحدة فترة متصلة طويلة أكثر من اي حضارة أخرى ،فقد وصلت الحضارة الصينية إلى صورتها المعروفة ،وتبلورت وتحددت معالمها ،وعلى عكس الحضارات الأخرى لم يصبها الانهيار في يوم من الأيام ،ولكنها استمرت في تقدمها

[14] خه جاو وو / بو جين جي/ تانغ / يو / يوان/ صون/ كاي/ تاي:"تاريخ تطور الفكر الصيني"، ترجمة: عبد العزيز حمدي عبد العزيز، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004 ص 29

تتناوب عليها فترات تختلف في مدى نجاحها منذ وقت ظهورها ،فقد تعرض الصينيون لغزو بلادهم وحكمها بدول اجنبية ،ولكنهم نجحوا دائما في فرض حضارتهم الصينية [15]

اما من الناحية السياسية فقد كان للمكان الجغرافي ،والثقافات الأولى ،الدور الأكبر في تحديد النظام السياسي للصين ،فالرقعة الجغرافية الواسعة ،والتصور الثقافي الميثولوجي القائم على عبادة الآلهة ،افرز نظاما سياسيا اتسم بالشمولية والميثولوجية ،فالامبراطور يملك ارض الصين الشاسعة،وهو المتوجه إمبراطورا من قبل الإله الأعلى،اذا هو من يحكم هذا العالم لأن الإله في الأصل هو خالق هذا العالم وقد أعطى صفة الادارة وتسيير الشؤون.[16]

كما إن اقدم مملكة في سلسلة الدول الصينية هي مملكة (شيا) التي لم يحدد تاريخها ،ولكنها وردت في الاساطير تمتد ما بين 1520-2000 ق.م .اما المملكة التي يبدأ فيها التاريخ المعروف للاسرة الصينية ،فهي سلالة /شانغ/ ومملكتهم تعود إلى 1020-1030ق.م

بعد ذلك ظهرت ممالك عدة اتسمت ،اما بعصر ازدهار للحضارة الصينية ،او عصر انحدار نذكر منها :مملكة "لو" ومملكة "تشي" وهما دولتان اقطاعيتان ،في عصر الربيع والاخريف (722-480 ق.م) فقد شهدت الصين في هذه المرحلة ازدهارا على كافة الصعد وبخاصة الثقافية منها .

اما من الناحية الفكرية والثقافية :فقد تعددت اللوحة الثقافية في الصين ،ضمن مرتسمات معرفية اهمها : التصور الميثولوجي والتصور الديني والتصور الفلسفي والعلمي

اما دينيا فالمذاهب الدينية السائدة هو الكونفوشية والتاوية ،اضافة إلى الديانات الوافدة كالبوذية من الهند والمانوية من بلاد فارس .

قدمت لنا الدراسات التاريخية هناك عوامل ساعدت على تحقيق ذلك فالحاصلات الصينية وطرق الزراعة كانت على الارجح احسن شيء من نوعها في العلم قبل ادخال الطرق العلمية الزراعية الحديثة .وبهذا تمكن الصينيون من انتاج مايكفي لسد حاجات شعب تبلغ كثافة سكانه ماكان في عصر مصر ،وفي بلاد مابين النهرين ولكن مساحة كبيرة جدا اكثر من مساحة هذين البلدين .[17]

ترجع الصفات المميزة للحضارة الصينية ،ولو جزئيا على الاقل ،إلى الظروف والعوامل الجغرافية ،فالصين تطل على الشرق ويحدها في الجنوب وفي الغرب جبال لا يكاد يمكن اجتيازها [18]

---

[15] رالف لنتون ،تقديم محمد سويدي شجرة الحضارة ج 3 موفم للنشر 1990ص 279

[16] جيفري بارندر،ترامام عبد الفتاح امام المعتقدات الدينية لدى الشعوب سلسلة علم المعرفة العدد 173 1990 الكويت ص267.

[17] رالف لنتون ، تقديم محمد سويدي شجرة الحضارة ج 3 مرجع سابق ص 281

[18] المرجع نفسه ص 281 28

ثانيا : طبيعة الفكر الصيني :

أما عن طبيعة الفكر الصيني فقد تميز بنزعة إنسانية واضحة ،وقد بدأت هذه النزعة الإنسانية تسود الفكر الصيني منذ بداية الوعي الفلسفي الحقيقي لدى الإنسان الصيني ،وتميزت هذه النزعة الإنسانية بالتركيز على وحدة الإنسان وعلى التكامل بين الإنسان والطبيعة ،واعتبار الإنسان هو وسيلة تحقيق القيم المطلقة في العالم.[19]

ارتبطت نشأة الأفكار والمفاهيم والإدراك في المقام الأول ارتباطا مباشرا بالأنشطة المادية للبشر وتبادلتهم المادية وبلغة الحياة الواقعية ،وبعبارة أخرى إن العمل الجسماني الشاق صنع البشرية والمجتمع البشري وفي الوقت ذاته عزز أيضا نشأة القدرة على التفكير والمعرفة لدى البشرية وتطويرها .[20]

تشكل الفلسفة الصينية احد تيارات الفكر الشرقي القديم ،وهي في ماهيتها ،الاكثر قربا من الفكر الفلسفي المجرد ،البعيد عن التصورات السابقة ،الا ان الفكر الشرقي في الصين تطور الى مرحلة بناء فكر فلسفي – عملي أبعده عن تلك التصورات السابقة والتي لم تسطيع الفلسفات الاخرى تجاوزها بشكل كلي .

وفي هذا المنحى يعلق جون كولر قائلا: " تقوم الحضارة والثقافة الصينيان على أساس فلسفي تشكله في المقام الأول مبادئ الكونفوشية و التاوية والكونفوشية الجديدة، وقد قامت هذه الفلسفات الثلاث بتشكيل حياة الشعب ومؤسساته، وقد كانت مصدر إلهام لها عبر ما يزيد على خمسة وعشرين قرنا من الزمان، وقد كانت الفلسفة الصينية التي أكدت على أهمية المحافظة على الحياة الإنسانية العظيمة ورعايتها مرتبطة أوثق الارتباط بالسياسة والأخلاق واضطلعت بمعظم وظائف الدين، [21]

ومن هنا فإن دراسة الفلسفة الصينية هي دراسة لها قيمتها، ليس بسبب جدارتها فحسب، وإنما بسبب الاستبصار التي تجعلها ممكنة للعقل الصيني".[22]

فالفلسفة الصينية ترتبط اساسا بالواقع الاجتماعي وله ،فالأخلاق والممارسة الأخلاقية هي الناظم الأساسي للعلاقة بين الإنسان والماوراء ،فيصبح الماوراء المحمول لموضوع هو الإنسان ،وحتى من خلال الميثولوجية والثيولوجية في الارتكازات المعرفية العملية .

---

[19] مصطفى النشار الفلسفة الشرقية ،مرجع سابق ص 147

[20] خه جاو وو / بو جين جي/ تانغ / يو / يوان/ صون/ كاي/ تاي:"تاريخ تطور الفكر الصيني ص 29

[21] محمود محمد علي محمد: "الفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2014ص 312

[222222] جون كولر: "الفكر الشرقي القدي"، ترجمة كامل يوسف حسن، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، العدد 199، يوليو 1995 ص 325

يرى بعض الدارسين أن العقل الصيني ،استطاع إن يؤسس لفلسفة ذات شأن لايستهان به ،"وقد كانت فلسفة –اي الفلسفة الصينية- خصبة ومتنوعة عالجت مشكلات فلسفية مهمة مثل اصل الكون ، الطبيعة الانسانية ،والسياسية ومقاييس الحكم ،ومبادئ الاخلاق العملية واصولها النظرية ..بمعنى إن الفلسفة عن الصينيين القدماء استطاعت أن تطرق معظم مباحث الفلسفة العامة المعروفة بين دارسيها ،كالانطولوجيا والابستمولوجيا والاكسيولوجيا والكوسمولوجيا.[23]

لتكون فكرة نزول الفلسفة من السماء إلى الأرض ،مع مقولة سقراط الشهيرة "اعرف نفسك بنفسك " مجرد ادعاء ،لان العقل الصيني في القديم خبر نزعات نفسية انسانية مختلفة،منها التفاؤلية والتشاؤمية وحياة الزهد والتصوف ...

وفي هذا تفلسف حكماء الصين ،وناقشوا فكرة الطبيعة الإنسانية ،وبحثوا سبل تقويمها وتسديدها ،وما يستتبع ذلك من دراسة للنفس الإنسانية ،وفهم أسرارها وسبر أغوارها "ولم يكن الهدف الرئيسي للفلسفة الصينية ،هو في المقام الأول فهم العالم ،وانما جعل الناس عظماء.

وقد كانت الفلسفة الصينية التي أكدت على أهمية المحافظة على الحياة الإنسانية العظيمة ورعايتها مرتبطة أوثق الارتباط بالسياسة والأخلاق واضطلعت بمعظم وظائف الدين، ومن هنا فإن دراسة الفلسفة الصينية هي دراسة لها قيمتها، ليس بسبب جدارتها فحسب، وإنما بسبب الاستبصارات التي تجعلها ممكنة للعقل الصيني"

ثالثا :خصائص الفكر الصيني:

هناك مجموعة مميزات والخصائص؛ هي بمثابة مقدمات لفهم الفكر الصيني، أهمها:

1 ــ تمتاز العقيدة الصينية بالإيمان بعبادة أرواح الأسلاف (الأجداد) كما لو كانوا أحياء، والمغالاة في تقديسهم إلى حد لم يعرف له نظير عند الأمم الغابرة.

2 ــ لا تعترف الديانة الصينية بوجود علم آخر يتم فيه الحساب والعقاب، فلا وجود إلا لحياة دنيوية وأن الجزاء يتم فيها، والإنسان إما سعيد أو تعيس هنا. وأن أكثر ما يهتم به المتقد الديني الصيني هو أن يعيش الإنسان بخير في هذه الحياة الدنيا، وإذا صلى فإنه لا يطلب في صلاته أن ينال نعيم الجنة بل يطاب الخير لنفسه في هذا العالم الأرضي[24].

[23]محمد عبد الله الشرقاوي ، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة ،دار الجيل بيروت ، مكتبة الزهراء ،جامعة القاهرة ط2 1990 ص 60
[24] [24] جون كولر، الفكر الشرقي القديم ترجمة كامل يوسف،مرجع سابق ص 325

3 ـ يتسم الفكر الصيني بالنظرة التفاؤلية للواقع الإنساني وهو عكس ما هو سائد في ديانات الهند التي تسودها النظرة التشاؤمية. فهناك اعتراف بالواقع الإنساني على ما هو عليه، وأمل في تحسين هذا الواقع وفق قوانين أخلاقية لتنظيم السلوك الإنساني.

4 ـ إن ديانات الصين تميل إلى الحكمة والعبر أكثر من الميل إلى التحليل الفلسفي العميق الموجود في الديانات الهندية، ومرد ذلك الطابع العملي الذي يتسم به الفكر الصيني الذي ينظر للاتجاه إلى العالم والدنيا وتحقيق السعادة فيها من خلال الحكمة العملية التي تعين على فهم الحياة بدلا من التركيز على الفهم والتحليل النظري لطبيعة الكون، وهو ما يعني الاهتمام الكبير والواضح بمسائل الأخلاق أكثر من الاهتمام بأمور المنطق والميتافيزيقيا ومشاكل المعرفة.[25] وقد ترتب عن ذلك:

ربط الأخلاق بالدين، والفلسفة بالأخلاق، لذلك هي فلسفة أخلاقية وليست فلسفة أنطولوجية لأنها لم تهتم كثيراً بمسألة وجود العالم أو "قصة الخليقة"، ولم تأتِ تعاليمها بتصورات عن اليوم الآخر أو المعاد، ولا عن الجنة والجحيم، والدعوة للإصغاء لصوت الضمير قبل الإصغاء لصوت العقل.

5 ـ الحُب والطيبة هما تمام جوهر الخير في الفكر الصيني: فأن تكون إنساناً يعني ذلك أن تكون مُحباً وطيباً، وتحترم الأكبر منك سناً، بل وتحترم كل المحيطين بك، وتُحسن معاملتهم، فهذا معنى الطيبة التي ينشده الفكر الكونفشيوسي (الصيني).

7 ـ يهتم الفكر الديني الصيني اهتماما كبيرا بالأسرة كمؤسسة اجتماعية أساسية، اهتماما خاصا يجعل من الأسرة مصدر دلالة وتوجهات القيم الاجتماعية الرئيسية، فالأسرة الصينية لا تقوم على الأساس الفردي في نظام الأسرة بل على النظام الجماعي، أي العائلة الكبيرة المشتركة التي تجمع بين أحضانها عدة أجيال ما بين أبناء و آباء وأجداد بزوجاتهم وأبنائهم وأقاربهم المعتمدين عليهم، وتقع المسؤولية على أكبر الذكور، وهناك وحدة اجتماعية أكبر من وحدة الأسرة بهذا المفهوم السابق وهي وحدة العشيرة التي تضم عددا من الأسر التي تعود إلى نسب واحد، وتعكس الأخلاقيات الصينية نوعا من التدين أو التقوى الأسرية أو ما يمكن تجاوزا تسميته بعبادة الأسرة.[26]

8 ـ يحظى الحاكم في الديانة الصينية بوضع خاص في الدين والأخلاق، فهو ليس مجرد مسيّر لشؤون الدولة، ولكنه يقوم أيضا بأداء بعض المراسم الرئيسة . وهو بمثابة الأب للعائلة الكبيرة التي هي الدولة، وهو ابن السماء، أو النموذج الأول على الأرض للنظام الأخلاقي للعالم، فإذا كان سلوكه مناسبا وأخلاقيا فالدولة في أحسن أحوالها , ولكن إذا فشل في أن يكون النموذج الأخلاقي ففي هذا تهديد للنظام الاجتماعي واستدعاء الكوارث وتشويه لفيض

[25] المرجع نفسه ص 325 ص 326

[26] جون كولر الفكر الشرقي القديم ترجمة كامل يوسف، مرجع سابق ص ص326 325

القوى الكونية , ومن المحتمل وقوع البلايا بالشعب كدليل على عدم الرضا السماوي، وباختصار فإن الحاكم السياسي يقوم بدور ديني وأخلاقي بالإضافة إلى دوره الإداري الخاص بتسيير أمور الدول

هذه الخصائص هي المكونات البنيوية والمضمون المعرفي لفكر كونفوشيوس الذي سنتناوله في المحاضرة المقبلة.

رابعا : الديــن والـتعبيرات الفنـية في الفكر الصيني

حضارة الصين التي مرت بمراحل بدائية إستمرت حتى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وكانت الأسطورة فيها تقوم بدورها في تفسير نشأة العالم وظهور كائناته المختلفة، وكان الفن في تلك المراحل ما يزال في أطوار البدائية نتيجة لذلك، وإن كانت الكشوف قد أظهرت أن سباكة التماثيل من البرونز كانت معروفة بين أهل الصين قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة،[27]وفي ظل الكونفوشية * أكد **"كونفوشيوس"** بصورة خاصة على العلاقة بين الفن والأخلاق، وقدرة الفن على التأثر الأخلاقي في الناس، وأن الفن يمكن أن يكون وسيلة جديدة للتربية الأخلاقية، كما لفت النظر إلى دور الفن في المعرفة،[28]وفي مقولته الشهيرة "أيقظ نفسك بالشعر وأكمل تعليمك بالموسيقى"، لكن الكنفوشية لم تكن تقر السلبية، بل كانت ترى ضرورة مواجهة الشر بالشر، ويعد الشاعر الصيني "تشو-ينج" أكثر الشعراء تأثرا بالكنفوشية وتعبيرا عنها ...، وربما أدركنا من هذا أن العقائد الدينية في الصين قد خلقت فنا شعريا في الدرجة الاولى، والواقع أن إحتفال الصينيين البالغ بالشعر يوحي بذلك وحتى أننا لنجد تصوراتهم للشعر تؤثر في موضوعاتهم الفنية التشكيلية وفي أساليبها، وخاصة في فن التصوير الذي يعد بحق أسمى ألوان الفن الصيني مكانة،[29]

هذي هي نظرة الإنسان الصيني إلى الفن والتي لاتبتعد في علاقته عن الدين والأخلاق.

محاضرة الرابعة : كونفشيوس

تمهيد

[27] إسماعيل عز الدين ، الفن والإنسان،دار القلم بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة النشر 1974م ص 51

*الكونفوشوسية ديانة اهل الصين تدعو الى احياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية ورثها الصينيون عن اجدادهم ،مع اضافة بعض اراء الحكيم كونفوشيوس اليها وهي تقوم على عبادة الاله الاعظم وعبادة ارواح الاباء والاجداد وتقدس الملائكة.

[28]الصباغ رمضان الفن والدين،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الاسكندرية ،ط1 سنة 2003م ص 58

[29]إسماعيل عز الدين ، الفن والإنسان ،مرجع سابق ص 52

اشرنا سابقا في محاضرة الفكر الصيني على إن الحضارة الصينية وثقافتها تقوم على مبادئ الكونفوشيوسية والطاوية و الكونفوشيوسية الجديدة ، وهذا الإرث الذي يعتز به الصينيون ويفاخرون به ، وقد قامت هذه الفلسفات الثلاث بتشكيل حياة الشعب ومؤسساته وكانت مصدر الهام لها عبر مايزيد على خمسة وعشرين قرنا من الزمان.

كما أن لها ارتباط وثيقا بالأخلاق والسياسة والدين ،ويعزى ذلك بالأساس للوظيفة التربوية المنوطة بالفلسفة في حضارة الصين قديما ،ويرى بعض الدارسين إن العقل الصيني ،استطاع إن يؤسس لفلسفة ذات شأن لايستهان به "وقد كانت فلسفة – الفلسفة الصينية – خصبة ومتنوعة عالجت مشكلات فلسفية مهمة مثل اصل الكون ، الطبيعة الانسانية ،والسياسة ومقاييس الحكم ومبادئ الأخلاق العلمية وأصولها النظرية والنزعة الصوفية الكامنة في بعض النفوس البشرية ...

تجمع اغلب الدراسات على ان التاريخ الفعلي المسجل يبدأ من اسرة شانج shang وفي هذه الفترة عرفت الصين حضارة متقدمة انتهت بغزو شعب تشو البربري(البدائي) لها ،ومع مرور الزمن ،تدهورت الاوضاع ونشبت الخلافات والصراعات في معظم اجزاء الصين وشكل العنف والتآمر الطابع السائد للساحة السياسية ،وتغلبت النفعية على الاخلاق ،وشكل الغش والخداع اساس المؤامرات .[30]

إن لهذه الظروف التي طبعت المشهد في الحياة الصينية والتي سبقت ميلاد كونفوشيوس بقرابة قرنين من الزمن ،كانت هي الداعي الأساسي لبروز نجم كونفوشيوس الناقد/الرافض للأوضاع السائدة التي تمارس بغير مبدأ أخلاقي ،ولمجرد تحقيق مصلحة الحاكم ،ورفاهيته فحسب ،فلا عجب اذن إن نجده يدعو إلى الإصلاحات الاجتماعية التي من شأنها إن تسمح بأن تدار الحكومة ملحة الناس جميعا .[31]

اولا :كونفشيوس :ولد كونفشيوس حوالي عام 551 ق.م بمنطقة "لو" الواقعة فيما يعرف اليوم باسم مقاطعة شانتونغ ،توفي والده قبل ان يكمل كونفشيوس السنة الثالثة من عمره ،عاش برفقة والدته في فقر وهذا ما اجبره على أن يسعى بنفسه لتحصيل لقمة عيشه ، لكن الفقر والمشقات التي عانى منها في تلك المرحلة المبكرة من حياته ،أنشأت ارتباطا وثيقا بينه وبين عوام الناس ، الأمر الذي انعكس فيما بعد في المنحى الديمقراطي الذي نراه واضحا في كل فلسفته .[32]

[30] جون كولر الفكر الشرقي القديم ترجمة كامل يوسف، مرجع سابق ص 319

[31] المرجع نفسه ص 319

[32] اهوستن سميث ،اديان العالم تر سعد رستم ،الهندوسية –البوذية –الكونفوشية –الطاوية-اليهودية- المسيحية –الاسلام –الاديان البدائية ط 3دار الجسور الثقافية حلب 2007240ء

واسم كونفشيوس باللغة اللاتينية اسم مركب من كلمتين كونج K‘ ungوهو اسم الأسرة التي ينتمي إليها كونفشيوس وفو–تسيه Fu Tze والتي تعني المعلم ،كان اسمه الحقيقي هو كونج-تشيو Kung-chiu او الحكيم او الفيلسوف .[33]

أسس فلسفته على القيم الأخلاقية الشخصية، فكان سباق في بناء مذهب ضمّنه كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي والأخلاقي، وقد مثل كونفوشيوس حالة فريدة في الصين وانتهج مذهبه كأسلوب أساسي في التعامل بين الأشخاص، ويعتبر كونفوشيوس أبرز وأعظم المفكرين عند الصينيين. و كواحد من أكثر الشخصيات المؤثرة في الثقافة الصينية

ثانيا :مذهبه وتوجهه الفكري:

لم يكن مذهبه الفكري في الحقيقة ديناً أو منهجا سماويّا روحيا. فهو لا يتحدث عن إله أو عن عالم روحاني، وإنما عن الحياة الخاصة وعن السلوك الاجتماعي والسياسي. وتقوم معظم أفكاره الفلسفية على الحب وحسن معاملة الناس والرقة في الحديث والأدب في الخطاب، واحترام الأكبر سناً والأكبر مقاماً، مع التقديس الخاص للأسرة، والكره في نفس الوقت للطغيان والظلم والاستبداد.

وقد تأثر في فكره السياسي والاجتماعي بميراث قديم يعد أحد مصادر الحضارة الصينية وهي كتاب الشعر، كتاب التاريخ، كتاب التغيرات، كتاب الطقس.

وقد تجسّد هذا التوجه الفكري العملي في سعي كونفوشيوس إلى تحقيق المدينة الفاضلة، وهي مدينة مثالية في حدود واقعٍ ممكن التحقيق والتطبيق، وهي فضاء تحقق سعادة الإنسان ويأتي اهتمام كونفوشيوس في إطار إصلاح الحياة الدنيا لأن مصير الإنسان النهائي يتحقق فيهان ولذلك، فهو لا يعتقد بالبعث أصلاً. وقوام هذه المدينة الفاضلة هو الأخلاق.[34]

ثالثا :الأخلاق: وهي فلسفة أخلاقية واجتماعية تهدف إلى رسم السلوك الأمثل للإنسان في المجتمع، وهي عبارة عن مجموعة من المعتقدات والطقوس الدينية المنبثقة من المؤلفات الكلاسيكية التي نقحها وصنفها كونفوشيوس، ناهيك عن التعاليم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية التي أمر بها مريديه وأتباعه بتطبيقها، والتي تدعو إلي السلفية المطلقة والالتزام بالقيم القديمة، واحترام الأجداد والآباء والخضوع للحكام[35].

[33] المرجع نفسه ص 241

[34] محمود محمد علي محمد: "الفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول،مرجع سابق ص ص 316.317

[35] حسن النشار: "الفلسفة الشرقية القديمة،مرجع سابق ص 255

هي الأمر الأساسي الذي تدعو إليه الكونفوشيوسية، وهي محور الفلسفة وأساس الدين، وهي تسعى إليه بتربية الوازع الداخلي لدى الفرد ليشعر بالانسجام الذي يسيطر على حياته النفسية مما يخضعها للقوانين الاجتماعية بشكل تلقائي تظهر الأخلاق في[36]:

طاعة الوالد والخضوع له.

طاعة الأخ الأصغر لأخيه الأكبر.

طاعة الحاكم والانقياد إليه.

إخلاص الصديق لأصدقائه.

عدم جرح الآخرين بالكلام أثناء محادثتهم.

أن تكون الأقوال على قدر الأفعال، وكراهية ظهور الشخص بمظهر لا يتفق مع مركزه وحاله.

البعد عن المحسوبية في الوساطة أو المحاباة.

وتظهر أخلاق الحاكم في:

احترام الأفراد الجديرين باحترامه.

التودّد إلى من تربطهم به صلة قربى وقيامه بالتزاماته حيالهم.

معاملة وزرائه وموظفيه بالحسنى.

اهتمامه بالصالح العام، مع تشجيعه للفنون النافعة والنهوض بها.

العطف على رعايا الدول الأخرى المقيمين في دولته.

تحقيق الرفاهية لأمراء الإمبراطورية ولعامة أفرادها.

أن اهم مااشتهر به الحكيم من اخلاق سامية هو الهدوء الذي لا احد له ،ومن هذه الاخلاق ما يرونه لنا عن وداعته الفائقة وتواضعه المنقطع النظير الذي يصفه لنا هو شخصيا فيقول "كيف استطيع أن أشبه نفسي بالحكيم او بالرجل الذي يعمل الفضيلة ، إن كل ما استطيع ان أقوله عن نفسي هو انني اقهرها على محاولة مساوتهم بدون ملل وعلى تعليم الآخرين ...

ومع ذلك فقد كان عنده ثقة عظيمة في نفسه وفي رسالته الأخلاقية ،غير انه كما ان تواضعه لم يهنه أمام من هم أقوى منه ،وكذلك ثقته بنفسه لم تدفعه الى الكبرياء على من هم دونه .[37]

[36] محمود محمد علي محمد: "الفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول،مرجع سابق ص ص 316.317

منهجه : يشيه منهج كونفشيوس منهج سقراط كثيرا ، اذ هو يحاول ان يرشد تلاميذه الى الحقيقة ،ولكن لا عن طريق التقليد والتحفيظ بل عن طريق البحث الشخصي الذي يتدرج من المحسات الى المعقولات ،وبصعد من الماديات الى المعنويات ،فتارة يلمح الى برهان الحق تلميحا خفيا، واخرى يشير الى تناقض الباطل اشارة غامضة ثم يقود التلاميذ في طريق المحاورة قيادة منطقية محكمة الى ان يمرو على الحق بانفسهم او يهدموا الباطل بمجوداتهم الشخصية المراقبة بإرشاد الاستاذ وفي هذا يقول :" انا لا اعلم من **ليشهي** ان يفهم ولا اساعد على الكلام من لايحاول ان يوضح افكاره .[38]

ومن منهجه ايضا انه كان يضع امام تلاميذه أمثلة حية من اخلاق الحكماء والملوك الستبقين او من المأثورات الدينية العالية والقصائد الشعرية المفعمة بالفضيلة او الحوادث التاريخية التي تصلح لان تتخد نماذج للسمو والنبل ،وكان يسلك هذا المنهج في تعليم تلاميذه الفلسفة والادب والفن والاخلاق .[39]

الكونفشيوسية :

الكونفوشيوسية عقيدة دينية ومذهب وفكري لدى أهل الصين، وهي ترجع إلى مؤسسها الفيلسوف كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم مضيفاً إليها جانباً من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم. وهي:

لم يأت كنفشيوس بدين جديد وكل ما كان يريده هو إحياء الأديان القديمة التي كانت سائدة في الصين في عصورها العتيقة ،وحث الأفراد على التمسك بها والقيام بما كانت تنادي به من طقوس وقرابين وأضحيات لان هذا في رأيه يؤدي الى روح التضامن الاجتماعي بين الافراد [40].

والديانة هنا تتمثل في عبادة إله السماء أو الإله الأعظم، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد. وهي تدعو الى إحياء التقاليد والطقوس الدينية القديمة التي ورثها الصينيون عن أجدادهم مع تنظيمها وتوجيهها فلسفيا وأخلاقيا من دون إلغائها أو نسيانها. وتؤكد دائما على التثقيف وممارسة العلم وتقديس الإرث الروحي للآباء والأجداد . وهي تؤمن بوجود بالله أو بالآلهة وتقوم على عبادة السماء (تيان) أو الرب الإله الأعظم (بان كو). وتؤمن كذلك بعبادة الطبيعة كأغلب الشعوب القديمة مع عبادة الأرواح الكامنة فيها وتقديس خوارقها وصورها الرهيبة والمُخيفة وإجلال ما فيها من الشمس القمر والنجوم والكواكب والأمطار

---

[37] مصطفى حسن النشار: "الفلسفة الشرقية القديمة،مرجع سابق ص 251

[38] المرجع نفسسه ص 255

[39] مصطفى حسن النشار: "الفلسفة الشرقية القديمة،مرجع سابق ص 255

[40] المرجع نفسه ص 255

والنار والرياح والأشجار والجبال والحيوانات. وتؤمن كذلك بالأرواح الخيّرة والشريرة (الملائكة) و(الشياطين)، وعبادة أرواح الآباء والأجداد وتقديم القرابين لها في شعائر خاصة .**ومن** والمعتقدات الأساسية **للكونفوشيوسية** اعتقاد أتباعها في إله السماء، والملائكة، وأرواح الأجداد.

أما عن تصورها الفلسفي للإنسان، وهو تصور مشدود إلى الديانة التي أسستها وتدين بها، فهو ليس إلا نتيجة لتزاوج القوى السماوية مع القوى الأرضية أي لتقمص الأرواح السماوية في جواهر العناصر الأرضية الخمسة. فالانسان اذن يعد مركز الكون لانه نقطة تلاقي القوى الارضية والسماوية والارواح تتقمص جوهر العناصر الخمسة حتى تستطيع هذه العناصر ان تتمتع بالغداء والرؤية والموسيقى ومن هنا كان على الانسان ان يتمتع بكل شيء في حدود القانو ني .[41]

المصادر المرجعية (الدينية والفكرية المؤسسة للكونفوشيوسية:

تتمثل المصادر التأسيسية للكونفوشيوسية في مجموعتان أساسيتان من الكتب، تمثلان الفكر الكونفوشيوسي فضلاً عن كثير من الشروح والتعليقات والتلخيصات: المجموعة الأولى تسمى الكتب الخمسة، والثانية تسمى الكتب الأربعة.

الكتب الخمسة: وهي الكتب التي قام كونفوشيوس ذاته بنقلها عن كتب الأقدمين وهي:

1- كتاب الأغاني أو الشعر: فيه 350 أغنية إلى جانب ستة تواشيح دينية تغني بمصاحبة الموسيقى.

2- كتاب التاريخ :فيه وثائق تاريخية تعود الى التاريخ الصيني السحيق

3- كتاب التغييرات: فيه فلسفة تطور الحوادث الإنسانية، وقد حوّله كونفوشيوس إلى كتاب علمي لدراسة السلوك الانساني .[42]

4- **كتاب الربيع والخريف**: كتاب تاريخي يؤرخ للفترة الواقعة بين 722 – 481 ق.م.

5- كتاب الطقوس: فيه وصف للطقوس الدينية الصينية القديمة مع معالجة النظام الأساسي لأسرة تشو تلك الأسرة التي لعبت دوراً هاماً في التاريخ الصيني البعيد.

الكتب الأربعة: وهي الكتب التي ألفها كونفوشيوس وأتباعه مدوّنين فيها أقوال أستاذهم مع التفسير تارة والتعليق أخرى، إنها تمثل فلسفة كونفوشيوس ذاته وهي:

---

[41] فراس سواح: "موسوعة تاريخ الأديان"، الزراديتشية، المانوية.... الكتاب الخامس، مكتبة الفكر الجديد، 2018 ص 789

[42] المرجع نفسه ص ص 789 790

كتاب الأخلاق والسياسة.

كتاب الانسجام المركزي .Central Harmony

كتاب المنتجات Analects ويطلق عليه اسم إنجيل كونفوشيوس.

كتاب منسيوس: وهو يتألف من سبعة كتب، ومن المحتمل أن يكون مؤلفها منسيوس نفسه. [43]

نستخلص مما سبق أن الكونفوشيوسية كمذهب، يتداخل فيه الديني مع الفلسفي والعلمي. ويؤسس فيه النظري للعملي. وهي تيار فكري وعقدي يهتم بالإنسان وبسعادته في هذا العالم، عالم الدنيان وهو العالم الوحيد الذي ليس بعده ما يسمى بـــــ "العالم الأخر". وأن الأخلاق والسياسة هما قوام بناء الإنسان ومصدر سعادته، وهما آلة الإصلاح الاجتماعي.

[43] جون كولر: "الفكر الشرقي القديم"، ترجمة كامل يوسف حسن ،مرجع سابق ص 320

المحاضرة االرابعة :الفكر الهندي

تاريخية الفكر الهندي: النشأة والتطور والخصوصية:

إن للفكر الهندي تاريخ طويل موغل في القدم، يبداحوال1500ق.م. ومنذ تلك البدايات التي اضفى عليها مرور الزمن هالة من الغموض والالتباس فقد احرزت الهند ثروة طائلة من الرؤى والتأملات والمناقشات الفلسفية ، وقد مر في تطوره بأربعة مراحل أساسية، وهي :

1 ــ المرحلة الفيدية (الفيدا): بدأ العصر الفيدي عندما انتقلت الشعوب الارية من آسيا الوسطى الى وادي السند في نحو عام 1500 ق.م واختلط التراث الثقافي الذي حملوه معهم بتقاليد الشعوب التي غلتقوا بها وعاداتهم ،وبدأ ما يمكن تسميته بالثقافة الهندية وقد اتسمت هذه المرحلة ـ من الناحية المعرفية ــ بـ "الما قبل فلسفية" ـ او ما يمكن تسميتها بـفترة "تلمس"، أي تلمس بذور وبدايات التفلسف في عي عمق وباطن اللاعقلي، وقد نازع الفلسفي بكونه العقلي الأسطوري والديني بوصفه أساس اللاعقلي. " وذلك لأن الدين والأسطورة والفلسفة اتصل بعضُها ببعض وعانت من نزاع وانقسام شديد مستمر. إنه، على كلِّ حال، عصر تطور فلسفي؛ وتُعتبَر مبادئه التي عُرِضَتْ في الأوپنشاد لهجةَ العصر، إن لم تكن النموذج الدقيق لتطور الفكر الفلسفي الهندي عمومًا".[44]

2- المرحلة الملحمية: شكلت حكمة الكتابات الفيدية جزءا من تراث مقدس تتم رعايته بحرص شديد ،ووكثيرا ما لا تتوافر لكثير من اعضاء المجتمع ،او عندما تتوافر لهم فإنها تتجاوز فهمهم ،ولقد نما الادب الشعبي لتعويضهم عن ذلك وهو يرثل قصص وقصائد اعدت لنقل كثير من المثل العليا في التراث المقدس عن غالبية الناس وتمتد هذه المرحلة الثانية لتطور الفكر الهندي بين 800 – 200 ق.م.

وتتسم هذه المرحلة بظهور وانتشار لتصورات الفلسفية في أدب غير ممنهج وغير علمي – ويتجلى ذلك تحديدا في ملحمتَي: "الرامايانا" و"المهابهارَتا" العظيمتين. وقد شكّلت "الملحمية" أيضًا ؛ مرحلة النشوء الأول للبوذية والجينية والشيفية (نسبة إلى الإله شيفا) وغيرها. وتُعتبَر "البهگفدگيتا"، وهي جزء من "المهابهارتا"، أحد النصوص الثلاثة الرئيسة في الأدب الفلسفي الهندي. كما ان بداية المدارس الهندية المستقيمة الرأي تعود إلى هذه المرحلة (الملحمية. وفي هذه المرحلة نشأت وتطورت وانتشرت "البوذية" كأعظم وأهم معتقد ديني/ صوفين، ومذهب فكري فلسفي اثر على توجّه الفلسفة الهندية لاحقا. [45]

---

[44] جون كولر: "الفكر الشرقي القديم"، ترجمة كامل يوسف حسن ،مرجع سابق ص 34

[45] المرجع نفسه ص ص 34 35

تُعتبَر هذه المرحلة؛ هي الأخصب في تاريخ الفكر الهندي، اتسمت بالغنى الفكري والفني، وتنوعه وعمقه. وفيها انبثقت البواكير الأولى لمذاهب وفلسفاتٌ أخرى، كمذهب الشك، والمذهب الطبيعي، والمذهب المادي، إلى جانب البوذية والجينية والمناهج الأخرى التي عُرِفَتْ فيما بعد بالمناهج الهندية الأرثوذكسية.

أما المرحلتين الثالثة (السوتر: 4 – 5 م)، والرابعة (المدرسية/ الشروحات: 4 – 17 م)، فهما لم تصنّفا ضمن الفكر الهندي في قدمية تاريخه، بل تشكلان حلقة وسطى بين فترة ما قبل الميلاد (اللاعقلية الأسطورية)، وفترة ما بعد الميلاد، فترة تشكل المعقول وانبثاقه وانفصاله عن اللامعقول الذي شكل الفكر الهندي القديم (ق ـ م) مضمونه ومادته المعرفية. أي أن المرحلتين (3 ــ 4) هما بمثابة مرحلة إرهاص المؤسسة للفكر الهندي الحديث والمعاصر.[46]

وبما أن موضوع المحاضرة يتعلق بالفكر الهندي القديم في سياقه التاريخي والحضاري المرتبط بالفكر الشرقي القديم، وبما أن نشأته وتطوره تجسدت من خلال المرحلتين: الأولى(الفيدية) والثانية(الملحمية)، فلا حاجة ـ منهجية ـ إذن للحديث عن المرحلتين: الثالثة والرابعة.

ثانيا : طبيعة الفكر الهندي ومميزاته

لعل اكثر السمات إثارة في الفكر الفلسفي الهندي ،بعد ثرائه وشموله ،تتمثل في طابعه العملي ،فقد نشأت تأملات حكماء الهند منذ البداية ،من محاولاتهم تحسين الحياة، فقد واجه الفلاسفة الهنود العذاب الجسدي،والذهني والروحي وسعوا لفهم مبرراته وأسبابه ،وحاولوا تحسين فهمهم لطبيعة الإنسان والكون ،كما أرادوا استئصال أسباب المعاناة وتحقيق أفضل حياة ممكنة ومن اهم المشكلات والقضايا التي طرحها الفكر الهندي وتبناها ونظر والتي تعتبر بمثابة محور اهتمام الفكر الهندي لها والتي تتمثل فيما يلي: 1 ـ الإنسان الكامل. 2 ـ التصوف. 3 ـ وحدة الوجود. 4 ـ التناسخ. 5 ـ البطولة الدينية. وأبرز مذهب ديني وتوجه معرفي استوعب هذه القضايا وأحاط بها تأصيلا وتفصيلا معرفيا؛ هو البوذية وهو ماسنتطرق إليه بالتفصيل في المحاضرة اللاحقة

أما عن الخصائص والميزات العامة التي تحدد الفكر الهندي وتميزه، والتي ترتبط بطبيعة الفكر الهندي وخصوصيته نذكر مايلي :

[46] جون كولر: "الفكر الشرقي القديم"، ترجمة كامل يوسف حسن ،مرجع سابق ص ص 36 37 38

1 ـالطابع الروحي : رغم تنوع الفلسفات الهندية بين المادية والروحانية والمثالية ، الا ان الجانب الروحي طغى عليها وكان التعبير الامثل عن العلاقة الجدلية بين الفلسفة من جهة والميثولوجيا والثيولوجيا العقيدية من جهة اخرى .[47]

وهذا الطابع والتوجه الروحي للفكر الهندي، المحرك الأساسي في الفضاء الفكري والحياة العملية، حيث ينظر الفكر الهندي ـ من هذا المنطلق ـ إلى الإنسان ـبما هو مقصد التفكير وأفقه ـ على أنه كائن روحي في طبيعته، ويهتم لمصيره الروحي هو ما جعله يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالدين، "وذلك باعتبار الدين تأملاً فلسفيًا، لأن الدافع الرئيس في الفلسفة والدين كليهما يكمن في السلوك سلوكًا روحيًّا في الحياة الأرضية وفي بلوغ خلاص الإنسان في علاقته بالكون".

2- **الفلسفة حياة ممارسة** :لم تكن الفلسفة الهندية بكل تيارتها فلسفة نظرية ،بل كانت على الدوام رسالة انسانية تحمل طابع عمليا ،الغاية منه ،ممارسة الفكر النظري المتضمن في الفلسفة ،وهذا مانجده في التصوف الاوبانيشادي والذات البوذية والمذاهب البراهمية [48]

3 ــ الذات الفاعلة لامتلاك المعرفة : تمثل معرفة الذات المقصد الأسمى للفكر الهندي، حيث اهتم بحياة الإنسان الداخلية أكثر مما اهتم بالعالم الخارجي وبالطبيعة المادية. فهو ينطلق من ذات الإنسان (أتما)، أو من العالم الداخلي، من طبيعة الإنسان الفطرية، وفي سيرها لبلوغ الحقيقة. فالحقيقة التي لا توجد إلا في الداخل. في العقل/ الروح، وليس الموضوع أما معرفة الذات الإلهية والماورئيات ،فتحتاج الى معرفة الى معرفة فوق –عقلية.[49]

أما المميزات العامة للفكر الهندي فيمكن إجمالها فيما يلي:

1- **التنوع والتعدد**(اللغة والأديان والمذاهب والعقائد) 2- **الألم والمعاناة**: فالألم هو أصل الوجود، وهو ناتج من المعاناة النفسية والروحية في ذلك الإنسان(الحياة قائمة على الألم) (المعاناة ناتجة عن الجوع والمرض والوحدة، وهناك نوعين من الآلام، آلام نفسية وآلام جسمانية، 3- الانضباط والسيطرة: فكلما كانت النفس منضبطة كلما قلت آلام الإنسان 4- **التجربة والممارسة**: يتوجه الفكر الهندي إلى الحياة العملية، فالمهم لديه هو التجربة والممارسة والأساس هو العمل. وتجربة الحياة تقوم أصلا على الألم والمعاناة. 5- **الطريق:** والمقصود به في الفكر الهندي هو اتباع التعاليم الدينية في الممارسة العملية. 6- **التأمل والتفكير**: بمعنى الاستبطان. وهو التفكير بالمعنى الذاتي أي تأمل النفس والتفكير فيها. 7-

[47] محمد محسن: "تيارات الفلسفة الشرقية"، مرجع سابق ص 139
[48] المرجع نفسه ص139
[49] المرجع نفسه الصفحة نفسها

الارتباط الوظيفي بين الدين والفلسفة 8- **التحرير والسعادة** 9- **الواجب والمسؤولية** 10- **العدل والإنصاف**.[50]

رابعا : الدين والفن في الفكر الهندي:

إذا ما نحن فتحنا كتاب "الفيدا" – كتاب الهند المقدس – قرأنا عن آلهة هندية تمثل قوى الطبيعة وعناصرها المختلفة كالسماء والشمس والأرض والنار والضوء والرياح والماء ...، وقد أخذت هذه الآلهة أشكالها على هيئة البشر في وقت ما بلغ عددها من الكثرة بحيث حار الحكماء فيمن عساه يكون منهم خالق الكون.[51] إلى أن يأتي القرن السابع قبل الميلاد فيظهر "بوذا" لكي ينشر في الهند ديانته، ثم أعقب البوذية * ظهور الديانة البرهمية، فألغت في البداية فكرة بناء المعابد وإقامة الطقوس الدينية، لكن ذلك لم يستمر طويلا وقد أضفت البراهمية على الفن الهندي القديم طابعا رمزيا، يتمثل في التصاوير وفي المنحوتات فقد جعل الفنانون لكل إله من آلهتهم أربع أذرع وجعلت لبراهما اربعة وجوه.

فالفنان الهندي القديم أظهر في صور الآلهة صفات الحياة العليا والمثل الروحانية لإثارة العواطف السامية في نفسية المتعبد والمشاهد حتى يتيح للروح أن تفنى في النيرفانا، وكانت الغاية إثارة العاطفة الجمالية بمزج الفنون النحتية والتصويرية والمسرحية بالغناء والموسيقى والرقص في سمات تعبدية، وكان للفن أهمية كبيرة للتأمل الجمالي الذي يؤدي إلى الإتصال بالجمال المطلق، ولهذا كانت البراهمية والبوذية تشترط في الفنان أن تتوفر فيه الأخلاق السامية.

إستخدمت "البراهمية " ككل الديانات الهندية – ماعدا الإسلام - وعلى نحو واسع فن العمارة المقرون بالنحث والتصوير للتأثير على السكان، ولا يوجد في فن (البراهما) مكان لائق بالانسان أي إنه يذوب في الطائفة، والبراهما تعد الإنسان نقطة ينعكس الإله فيها كالشمس وتصوير شخصية فردية فنيا كأن يعد عملا غير لائقا.

ولعل المنتشر أيضا أن الرقص الهندي ليس مجرد حركات موقعة ومنسجمة، بل حركات تحمل كل حركة – مهما صغرت – دلالة رمزية يفهمها الهندي، والواقع أن الرقص في الهند قديم الصلة بالديانات الهندية، فقد نشأت عن بعض طقوس العبادات الدينية في الهند فنون إمتزجت فيها الاساطير بمنطق الحياة،ومع الهندوسية تغيرت النظرة الهندية إلى الفن إذ إن الآلهة التي على شاكلة الإنسان يجب ألا تصور في رأي الرهبان على شاكلة الإنسان بفرديته وشخصيته المحددة، وهذا الرأي يتعلق بكل الشخصيات الأسطورية الكثيرة للبراهما

---

[50] جون كولر: "الفكر الشرقي القديم"، ترجمة كامل يوسف حسن ،مرجع سابق ص ص 23 24

[51] إسماعيل عز الدين ، الفن والإنسان،دار القلم بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة النشر 1974م .ص 49

*** يعتقد البوذيين ان بوذا ابن الله وهو مالخلص للبشرية من مآسيها وآلامها وانه يتحمل عنهم جميع خطاياهم ،ويعتقدون ان تجسد بوذا قد تم بواسطة حلول روح القدس على العذراء**

والهندوسية, وعلى الفنان عندما يصور الإله حسب تعاليم البراهما أن يسعى لا إلى الجمال بذاته وإنما بالتعبير عن الأفكار الكونية حول خلق الكون، وفي هذا معنى الصورة الفنية وليس في صورة الآلهة التي على شكل الإنسان كمال جسماني كما في الفن اليوناني، ولكن يجب أن تبرز في تلك الصورة صفات الحياة العليا والمثل الروحانية،[52] وعلى الجملة نستطيع أن نقول أن حضارة الهند كانت روحية في المقام الأول، تشيع الزهد في الدنيا ومبادئ المحبة وتسعى إلى تخليص الروح من كل علائق الجسد.[53]

المحاضرة الخامسة : البوذية

أولا: بوذا: (560 – 480 ق.م.)

الاسم الحقيقي لبوذا هو (سيدهارتا Siddharta) الذي سمي فيما بعد (بوذا الملهم) وهو في انتمائه الاجتماعي ،يعود إلى طبقة (شاكيà من عائلة نبيلة المحتد ،في الشمال الشرقي من الهند ،كان ابوه ملكا على مدينة (كابيلافاستوà .في سن التاسعة والعشرين هجر زوجته واولاده ،مغادرا بيته ،ناسكا زاهدا متخذا لنفسه اسم (غوتاماà وهواسم عائلته بالاصل ،قضي في زهده وتقشفه سبعة اعوام ،مارس فيها الصوم واماتة الجسد وممارسة (اليوغا)،لكنه لم يستمر في ذلك ،فنبذ الصوم والتقشف،في مرحلة من التأمل الروحاني عبر عنها "انه تحت تينة معبد،بالقرب من قرية (اورنيلاà اسمه الان (بوذا-غايا) إلى الجنوب من (باتنا) اضاء بصيرته إلهام كشف له المعرفة المحررة (بوذيBodhi) عام 525 ق.م عبد إن كشفت له الحقيقة ،بدأ بوذا ممارسة عمله في التعليم ،فذهب إلى "بناريس"حيث ألقى هناك غانما خمسة من العباد الزهاد.[54]

مرت حياته بأربعة مراحل هي: مرحلة أولى: وهي مرحلة نشأته وعيشه في أسرة ملكية حياة سعيدة، إلى أن أكتشف الشيخوخة والمرض والموت، ليقرر اعتزال حياة القصر واختيار حياة الزهاد. ثم تبدأ مرحلة ثانية تعرف بمرحلة المعرفة أو حدس حقيقة الوجود وذلك "بالإيمان بأن كل وجود ألم وأن الخلاص لا يتم إلا بالمعرفة" ثم تبدأ مرحلة ثالثة وهي مرحلة التبشير حيث قال أريد أن أفرغ في هذا العالم الغارق طبلا لن يعلن عن الموت. أخيرا المرحلة الرابعة وهي مرحلة التحول إلى الرهبنة وتأسيس الأديرة حيث قال يمسك إناءه بيده ويطوف من بيت إلى بيت دون أن يعرب عن أي رجاء ينتظر صامتا أن يوضع في إناءه قليل من الطعام.[55]

معالم مذهب بوذا:

[5252] الصباغ رمضان الفن والدين،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الاسكندرية ،ط1 سنة 2003م ص59

[53] عز الدين إسماعيل، الفن والإنسان مرجع سابق ص ص 50 51

[54] محمد غلاب: "الفلسفة الشرقية"، القاهرة 1938.ص 164

[55] جون كولر: "الفكر الشرقي القدي"، ترجمة كامل يوسف حسن ،مرجع سابق ص ص 181 182

تتجسد معالم المذهب الفلسفي لبوذا في النقاط الآتية:

1. ضرورة التحرر من الألم، فالعالم مليء بالألم والمعاناة، وعلينا التخلص منها عن طريق معرفة الرغبة بنور البصيرة لأن المعرفة انعتاق.

2. المعرفة حدسية شعورية وتأمليةو ليست المعرفة برهانية واستدلالية، وهي معرفة طريق الصلاح، وهي معرفة الذات (النفس). وهي نوعين: معرفة ذاتية: تتدخل فيها الميول والأهواء، و معرفة موضوعية.

3. لا يقدم بوذا منظومة معرفية لتفسير الحياة، وإنما يقدم طريقة في الحياة أو دربا في الانعتاق يتكون هذا الطريق من ثمانية(8) خطوات هي: (إيمان صحيح، قرار صحيح، كلام صحيح، عمل صحيح، حياة صحيحة، جهد صحيح، فكر صحيح، تأمل صحيح). وهو يقصد بـــ "الصحيح" الصدق.

4. إن للطريق في نظر بوذا مستويات أو درجات، يبدأ أولا بالحدس (الحدس الصحيح للإيمان) ثم بمعرفة الألم ومعنى، الألم هو ألم وجودي، فالوجود وأصله الألم. ثم بإتباع سلوك صحيح في الفكر والقول وأخيرا طلب الخلاص؛ الخلاص من الألم والمعاناة، والتخلص من الألم يكون بالتخلص من الأهواء..[56]

وفي هذا السياق يقول بوذا: " يجب أن نؤمن بأن الحياة تقوم على الألم. الألم: جسمي/نفسي الألم الوجودي أي الوجود أصله ألم أي أن الوجود الإنساني قائم على الألم، والألم عند البوذية يأخذ شكلين: شكل فيزيائي كالشيخوخة، والشكل الآخر هو الآلام النفسية كالاتحاد والانفصال. • يقول بوذا ممكن أن نتخلص من الألم إذا استبعدنا الأهواء.[57]

ومما سبق يمكن استخلاص قواعد المذهب لدى بوذا وهي: 1- الألم 2- أصل الألم 3- تجاوز الألم 4- اللامعرفة 5- الخلاص 6- الطريق

و هذا المذهب الذي أسسه بوذا وتأثر أتباعه ومريديه بأفكاره تحول إلى ما سمي بـــــ "البوذية". فما هي البوذية؟

ثانيا: البوذية:

ظهرت البوذية في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد. وكانت في البداية تناهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير. وهي تعتبر نظاماً أخلاقياً

[56] المرجع نفسه ص 182
[57] المرجع نفسه ص ص 185 186

ومذهباً فكرياً مبنياً على نظريات فلسفية، وتعاليمها ليست وحياً، وإنما هي آراء وعقائد في إطار ديني.

وتقوم الفلسفة البوذية على الدعائم التالية بمثابة منطلقات تشكل جوهنر الفلسفة البوذية ووحدتها وهي : - عالمية دعوته –البوذية وحي الهي – بوذا النبي – النبي والوحي – انجيل بوذا – الخلود في الانسان – الامل والرجاء في الانسان – لا طقوس في البوذية –اصلاح الاسرة – الوصاية المقدسة – اللاتناقض في التشريع البوذي – نظام اللاطبقة – تشجيع بوذا للزراعة والغرس – الحث على العلم – اللاتعصب والتسامح – عدم الانقطاع عن اللذات – لارهبانية في البوذية .[58]

والبوذية طريق للحكمة ،ويتم تعليمها وممارستها من اجل تحسين نوعية الحياة من خلال ازالة منابع المعاناة ويشكل مضمون هذه الاستشارة ،الرسالة الأساسية للبوذية وتتمثل هذه الرسالة في ابسط صورة في الحقائق الاربعة النبيلة والطريق النبيل

وتتمثل الحقائق الاربع النبيلة فيما يلي:

1- هناك معاناة

2- للمعاناة اسبابها

3- المعاناة يمكن القضاء عليها من خلال التخلص من اسبابها

4- السبيل الى القضاء على اسباب المعاناة هو اتباع الطريق الوسط ،الذي يشكله الطريق ذو الشعاب الثماني.[59]

واذا ما اردنا ان نتجاوز الالم وان نتخلص منه فليس امامنا الا ان نتجاوز ذلك الظمأ بأبادة كل اشتهاء ابادة تامة ،مما يفسح المجال امام هذا الظمأ بان يتركنا ويمضي في سبيله وينصرف عنا فنتجرد منه .

والطريق الصحيح الذي يقودنا الى تجاوز الالم انما هو طريق طويل ذو ثمانية مسالك او شعب هي : الاعتقاد الصحيح ،القرار الصحيح ،الكلام الصحيح الحياة الصحيحة ،التطبيق الصحيح ،الافكار الصحيحة ،التأمل الصحيح[60]

الفلسفة البوذية اذن هي أقرب إلى فلسفة الحياة منها إلى الدِّين حيث لا تؤمن بإله، وتقوم على التَّجرُّد والزُّهد تخلُّصًا من الشهوات والألم وطريقًا إلى الفناء التَّام، وتقول بالتَّناسخ ومبدأ

[58] محمد محسن: "تيارات الفلسفة الشرقية ،مرجع سابق ص 165

[59] محمود محمد علي محمد: "الفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول"، مرجع سابق .ص 233

[60] مصطفى حسن النشاز ،الفلسفات الشرقية، مرجع سابق ص 163

السببيَّة، وتنكر البعث والحساب، واهتمت البوذية بشكل أساسي على بتفسير "الدارما" والتي تعني "الحقيقة".

الأفكار والمعتقدات:

إن البوذية كديانة، تضمنت مجموعة من المعتقدات، يمكن إجمالها فيما يلي:

- الاله : ـ يعتقد أن بوذا هو ابن الله، وهو المخلّص للبشرية من مآسيها وآلامها وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم.
- تعتقد أن تجسد بوذا قد تم بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا.
- يرى أتباعها إنه قد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه نجم بوذا.
- ويرون أيضاً إنه لما ولد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المحبة للمولود المبارك.
- وقد قالوا: لقد عرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته. ولم يمض يوم واحد على ولادته حتى حيَّاهُ الناس، وقد قال بوذا لأمه وهو طفل إنه أعظم الناس جميعاً.
- ـ ويعتقد البوذيون أن هيئة بوذا قد تغيَّرت في أخر أيامه، وقد نزل عليه نور أحاط برأسه. وأضاء من جسده نور عظيم فقال الذين رأوه: ما هذا بشراً إن هو إلا إله(*) عظيم.
- يعتقدون أن بوذا ترك فرائض ملزمة للبشر إلى يوم القيامة، ويقولون إن بوذا أسس مملكة دينية على الأرض.ويقولون "إن بوذا انكر الالوهية والنفس الانسانية وانه كان يقول بالتناسخ. [61]
- ان النفوس البشرية عند بوذا عرضة للتحول الدائم والتعرض المستمر للفناء ومرد ذلك راجع الى تأثر البوذية بمبدأ التناسخ الذي يستلزم القول ببقاء الذات او بعض عناصرها على الأقل وهذا يتنافى مع مبدأ الكارما ،فقد أشارا بوذا الى أن أي فرد من البشر مكون من مجموعة من العناصر البدنية والعقلية وهي خمس مجموعات :

  - مجموعة الصفات البدنية ـ مجموعة الإحساسات – الحالات الشعورية الأخرى
  - مجموعة الإدراكات الحسية – ثالوث الفكر والعقل معا

[61] لفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول ص ص 274 275

وعند الموت تنفصل هذه المجموعات عن بعضها البعض ،فيفنى الفرد ولا يصبح له وجود باعتباره فردا مستقلا ،له مميزاته الخاصة ،ومع انه بهذا يفنى ،إلا أن مبدأ **الكارما** الخاص به يبقى وهذا المبدأ يكون سببا في وجود الإنسان في بيئة مناسبة مخلوقا جديدا .

لا يتذكر المخلوق السابق ،ومع أن المخلوق الجديد يعد في نظر بوذا من الناحية الخلقية امتدادا لوجود المخلوق السابق ،وترتب الوجود اللاحق على الوجود السابق وهو الذي يسمى بالتناسخ.

- **التناسخ :**

إن مبدأ التناسخ عند بوذا نتيجة حتمية لمبدأ الكارما إذ أن سبب التناسخ أن الروح خرجت من الجسم ،وما تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد، وثانيها :أنها خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين لابد من أدائها ،فلا مناص إذا من أن تستوفي شهواتها في حيوانات أخرى ،حتى إذا اكتملت الميول ولم يبقى للإنسان شهوة وأزيلت الديون ،فلم يرتكب الإنسان إثما ،نجت روحه وتخلصت من تكرار المولد او التناسخ .

يقول **الدكتور مصطفى حلمي** :: عن عقيدة التناسخ عنده :تقوم عقيدة التناسخ او تكرار الولادة على أساس فكرة العقاب ،فإن مات الإنسان الشرير لا تنتقل روحه الى إنسان أخر ،بل يجوز ان تحل في كلب او شجرة او حيوان آخر طيب او شرير ،وما يزال تكرار الوفاة ،فالولادة الى ابد الآبدين ،إذا لم تستطع أن تتجرد من الشهوات تجردا تاما ،فإذا استطاعت أن تتخلص من إسار البشر ،فإنها ستندمج مع الكل لتنعم بالاتحاد معه،وبهذا الاتحاد تنجو من العذاب الذي يتجلى في الولادة الجديدة المتكررة [62].

- الأخلاق:

ان الجزء الخصيب والايجابي في البوذية ،هو مذهبها في الأخلاق وإصلاح المجتمع ،وتخفيف ما فيه من شقاء ،وهذا الكلام بعيد عن الاختلاف بين أراء الباحثين :هل البوذية دين او فلسفة ،أي مذهب أخلاقي ،وبعدما خاض بوذا تجاربه ،كانت النتيجة التي توصل إليها أن

[62] محمود محمد علي محمد: "الفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول ،مرجع سابق ص ص275 276

الآلام والأحزان والمشكلات التي يعانيها كل فرد في الحياة غني او فقير ،إنما سببها الآمال والرغبات والشهوات التي تراود الإنسان دائما .

فقد لاحظ بوذا أن الحياة مليئة بالآلام ،بل هي عبارة عن ألام تتبعها أحزان ،تجعل الإنسان يعيش في تعب دائم ،كما لاحظ أن منشأ تلك الألم هو اللذات والأماني التي تتبعها الرغبات فقال " لولا انبعاث اللذات ما كانت الآلام ،ولولا استهواء الأماني التي تبعثها اللذات ،ما كانت آلام الحرمان ،لذلك كان لابد لمحو الآلام من القضاء على أصلها ،وذلك يكون بالقضاء على اللذات وآمالها وأمانيها ،ولا يتم هذا إلا إذا راض الشخص إرادته على هجر اللذات جملة ومجاهدتها ،ليكون للإنسان القدرة التامة ،فلا يناله الحرمان من لذة بسبب الألم "وقال أيضا ":لولا ثلاثة في الدنيا ،لما ظهر بوذا ولا الشريعة وما هذا الثالوث إلا المولد والهرم والموت [63].

وقد حدد ت البوذية ثمانية أمور يجب على البوذيِّ التقيد بها حتى يتمكن من الانتصار على نفسه وشهواته، وهي:

- الاتجاه الصحيح المستقيم الخالي من سلطان الشهوة واللذة وذلك عند الإقدام على أي عمل.
- التفكير الصحيح المستقيم الذي لا يتأثر بالأهواء.
- - الإشراق الصحيح المستقيم.
- الاعتقاد المستقيم الذي يصحبه ارتياح واطمئنان إلى ما يقوم به.
- مطابقة اللسان لما في القلب.
- مطابقة السلوك للقلب واللسان.
- الحياة الصحيحة التي يكون قوامها هجر اللذات.
- الجهد الصحيح المتجه نحو استقامة الحياة على العلم والحق وترك الملاذ.[64]

وفي تعاليم بوذا أن الرذائل ترجع إلى أصول ثلاثة:

- الاستسلام للملاذ والشهوات.
- سوء النية في طلب الأشياء.

---

[63] المرجع نفسه ص ص275 276

[64] جمال المرزوقي: "الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي ص 235

- الغباء وعدم إدراك الأمور على وجهها الصحيح.

وقد عملت البوذية من خلال نظامها الأخلاقي على بلوغ النفس الكمال الأسمى والسعادة القصوى، وانطلاقها من أسر المادة وانعتاقها من ضرورة التناسخ بـــ **"الينرفانا"** وتعني الخلاص من أسر المعاناة والرغبة، واكتساب صفاء الدين والروح، والتحرر من أسر العبودية واللذة، وانبثاق نور المعرفة عن طريق تعذيب النفس ومقاومة النزعات، مع بذل الجهد والتأمل والتركيز الفكري والروحي، وهو هدف البوذية الأسمى.

المحاضرةالرابعة: الفكر الفارسي

ا ــ تاريخيته(النشأة والتطور)، **وخصائصه:**

هي إحدى الحضارات القديمة –الفارسية *-التي قامت في شمال وشرق شبه الجزيرة العربية، تحديدًا في الهضبة الإيرانية شمال بلاد الرافدين، وتأسست هذه الحضارة في القرن السادس قبل الميلاد، وكانت هذه الحضارة تسمى بدول الفرس؛ لأن معظم سكانها من الفرس، ولكن مع تطور هذه الحضارة اتسعت رقعتها الجغرافية، وضمت العديد من الشعوب، حتى انتهت مع ظهور الإسلام، وتميزت هذه الحضارة بالقوة، ومرت بالعديد من الأحداث.

ترجع بداية فترة ظهورها في الهضبة الإيرانية عام 1000 ق.م عندما استقرت بها القبائل الآرية، ولكن تأسست الحضارة الفارسية وازدهرت عام 550 ق.م على يد القائد قورش الأكبر، ومن ثم اتسعت في عهد القائد داريوس حتى امتدت من نهر السند شرقًا إلى نهر الدانوب غربًا، حتى استولى عليها اليونانيون عام 330 ق.م بقيادة الإسكندر المقدوني، ولكنها قامت من جديد عام 250 ق.م بعد تحريرها من السلوقيين الذين خلفهم الإسكندر في بلاد فارس، ومن العوامل التي ساعدت على قيام هذه الحضارة هو تنوع البيئة والمناخ، ومرور طريق الحرير من أراضيها، وتأثرها بالحضارات العربية القديمة، والصينية، والهندية،

وانتهى عصر الحضارة الفارسية بسقوطها وتحرير أراضيها في زمن الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه[65].-

تعد إيران موطن الفرس القدامى أرضا للقاء الحضاري بحكم موقعها الجغرافي ، وقد توفر للفكر الفارسي الاحتكاك المباشر بفكر حضارات يخضعون لتأثيرات فكرية متبادلة "الأخرى عبر قنوات عديدة كالتجارة والزراعة "وقد تميزت العقيدة الدينية الفلسفية لدى الفرس بوجود مستويين هما؛ العقيدة الشعبية التي كانت تسمح بعبادة العناصر الأربعة (النار متمثلة في الشمس والقمر، الهواء والماء والتراب) كما كانت تقدس كل مظاهر الطبيعة، أما المستوى الثاني فتمثله عقيدة .فلقد كانت الديانات السائدة لدى الفرس هي عبادة قوى الطبيعة وتقديس كل مظاهرها خاصة "المتمثلة في النار والماء والهواء والتراب[66].

ومن هذا فقد لعبت قوى الطبيعة تأثيرا كبيرا في تشكيل عقيدة الفرس لدرجة أا كانت تأمر بالتضحية ببني الإنسان للتقرب ا إلى الآلهة ثم استبدلت بعد ذلك بالتضحية ببعض الحيوانات

خصائص الفكر الفارسي:

إن الديني هو ما يميز الفكر الفارسي، وحتى وإن كان هنا توظيف للأسطوري واستبطان للفلسفي في تصوير وتصور الحقيقة، فإن الديني هو المنطلق والأفق الذي يشد هذا الفكر ويحركه. أي أن الفكر الفارسي في جوهره عقيدة دينية، وبما هو كذلك؛والفكر الشرقي عموما ، نتاج حوامله التي ظهرت في تلاث خصائص:

ميثولوجية ،وثيولوجية عقيدية وانسانية ، هذه الخصائص المميزة لطبيعة الفكر الفارسي، تكشف عن هيمنة البعد **الثيولوجي** على الفلسفي، وأن **الثيولوجي** لم ينفصل عن الأسطوري في ممارسته التخييلية **والتأملية** للأسئلة **الأنطولوجية والقيمية**[67]

وقد تميزت العقيدة الدينية – الفلسفة – لدى الفرس بوجود مستويين لها العقيدة الشعبية التي كانت تسمح بعبادة العناصر الاربعة : النار ممثلة في الشمس والقمر والهواء والماء والتراب ،كما كانت تقدس كل مظاهر الطبيعة لدرجة انها كانت في اول امرها تأمر بالتضحية بأفراد

[65] جون كولر: "الفكر الشرقي القديم"، ترجمة كامل يوسف حسن، مرجع سابق ص 135.

[66]مصطفى النشار،المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، دار قباء، القاهرة، ط1،1997 ،ص107

[67] محمود محمد علي محمد: "الفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول"،مرجع سابق ص .

بني الانسان للتقرب الى الآلهة ثم استبدلت ذلك فيما بعد بالتضحية ببعض الحيوانات كالثيران والكباش .

اما المستوى الثاني فتمثله عقيدة الخاصة على نحو ما كان الحال عند المصريين القدماء ،اذ كشفت الاثار الملكية ان الملوك كانو الى جانب ايمانهم ببعض الالهة الشعبية كان يضعون فوقها جميعا الإله **اهوارا** مازادا ومن الطريف انهم نظروا الى هذا الاله على انه غير مرئي ، وليس له معبدا خاصا وإنما كانت جميع الارض بمثابة معابد له.[68]

إن أعظم ظاهرة أساسية في تقدم حياة الإنسان هو نشوء العقيدة الدينية لأن الدين هو أساس المبادئ الخلقية، فهذه المبادئ تضبط صيرورة الحياة نحو التقدم والرقي والازدهار والتطور، وبما أن هدفنا توضيح أثر الحضارات الشرقية في تكوين الأخلاق فإننا نقف عند أعظم أمة ذات تاريخ عظيم الغني بأحداثه ووقائعه، نستنتج منه الكثير فيما يتعلق بالجانب الأخلاقي المؤسس للكيان الإنساني، هي الحضارة الفارسية " إيران حاليا." .

و لقد تجسد الفكر الفارسي في تيارين فكريين ومذهبين دينين، أحدهما أقل انتشارا وتأثيرا وقد تمثّل في المانوية، وثانيهما، وهو أهم تيار ومذهب يجسد بحق الفكر الفارسي، عرف تأثيرا وانتشارا واسعا، **هو الزرادشتية ـوالمانوية** وهما ماسنتطرق إليها في المحاضرة المقبلة .

[68] مصطفى حسن النشار: "الفلسفة الشرقية القديمة ص ص 168 169

المحاضرة الرابعة : المانوية-

تمهيد :

اذن قد اشرنا سابقا على ان الفكر الفارسي تجسد عموما في تيارين او مذهبين دينين احدهما كان اقل انتشارا وتأثيرا وقد تمثل في المانوية ، وكما رأينا في الحضارة الفارسية عموما او الفكر الفارسي خاصة فإن الديني هو المنطلق والأفق الذي يشد هذا الفكر ويحركه. أي أن الفكر الفارسي في جوهره عقيدة دينية، وبما هو كذلك؛والفكر الشرقي عموما ان الديني هوما يميز الفكر الفارسي، وحتى وإن كان هنا توظيف للأسطوري واستبطان للفلسفي في تصوير وتصور الحقيقة؟ اذن ماهي المانوية ؟وكيف تجسدت المانوية ؟ ومن هو مؤسسها ؟ماهي اصولها ومبادئها ؟هذا ماسنتطرق اليه من خلال هذه المحاضرة .

اولا : <u>ماهي المانوية</u>

هي حركة دينية ثنائية ظهرت خلال القرن الثالث الميلادي في بلاد فارس ويعود اسمها نسبة إلى مؤسسها ماني الملقب برسول النور أو المنير الأعلى. **فمن هو ماني؟**

<u>ثانيا : ماني مؤسس المانوية</u>:

ماني نبي المانوية ومؤسسها ولد ماني سنة 216 م لأبوي ايرانيين كانا عضوين في طائفة الكسائية الدينية قرب **مدينة طيسفون** الواقعة على الطرف الغربي من نهر دجلة في اقليم

آشور ستلن البارثي في بلاد الرافدين وقد سمي بالبابلي حيث اعلن نفسه "رسول الله المبعوث من بابل، لقب **ماني ب "مار"** وتعني السيد باللغة **الارمية** "او ماري.[69]

وفي ذلك الوقت خاض ماني تجربته الكشفية الروحانية الأولى، حين تجلى له الملاك "**إلتوم**" وأنبأه بالأمر الإلهي : أن يرحل عن **المندائيين**، وأن يحيا حياة العفة والطهارة، وأن يعلن نفسه نبياً للعالمين بعد مرور فترة 12 عام. فامتثل ماني لأوامر السماء، وفي يوم الأحد الموافق 20 مارس عام 242 ميلادية – بحسب ما ورد في الكتابات المانوية – خرج الفتى الشاب ليعلن على الناس نبوته ويخبرهم أن: " كما بُعِث بوذا يوماً إلى بلاد الهند، **وزرادشت** إلى بلاد فارس، و يسوع إلى بلاد الغرب، هكذا بُعِثْتُ إليكم وتنزَّلَت عليكم نبوءة الزمن الحاضر من خلالي، أنا ماني المبعوث إلى أرض بابل"... وهكذا بدأت دعوة ماني كرسول عن الإله. [70]

فما إن أصبح في عمر الأربع وعشرين عامًا حتى زعم أنه قد نزل عليه وحيٌ لقّنه تعاليمًا إلهيةً شكلت أساسًا للديانة المانوية واعتبر نفسه الروح القدس والوسيط الذي بشّر به النبي يسوع وقدّم نفسه على أنه نبيٌ جديد خلال حفل تنصيب الملك الساساني شابور الأول معتبرًا أنه جزءٌ من سلسلة الأنبياء ووريث زرادشت في بلاد فارس وبوذا في الهند والصين ويسوع المسيح في الغرب، وأنه نبيٌ شاملٌ لكافة الناس وآخر الأنبياء.

مذهبه :

يرى ماني ان العالم نشا من عملاق قسم جسمه الى أجزاء ثم كون الموجودات من بعض هذه الاجزاء ، اما رأيه في المبادئ الأولى فهو يلخص في أن للكون مبدأين :الخير والشر وهما أزليان أبديان متساويان في كل شيء ،ولاشك انه في هذه النقطة قد تأثر زرادشت " من ناحية وبداياته "الثانوية " التي نشأت من مذهب زرادشت من ناحية ثانية.[71]

ما هي المانوية ؟

هي حركة دينية ثنائية ظهرت خلال القرن الثالث الميلادي في بلاد فارس، تقوم على معتقدان أن الإنسان الأول مخلوق للنور او للشمس الذي هو "**اهورامازدا**"وكان هذا الإنسان في الأول الأمر نورا محضا ،وان حكمة خلقه إياه إنما هي الجهاد ضد الظلام ،ولكن هذا الخصم العنيف لم يلبث إن انتصر على الإنسان وكبله بالأصفاد وقاده إلى سجنه الحالك غير أن قوة إله الخير عملت على تخليصه من هذا السجن ،فنجحت بعض الشيء ،لان إله الشر كان قد تمكن من حبس جسمه النوراني في هذا الغمد الكثيف المكون من المادة المظلمة،وإذا

[69] فراس سواح: "موسوعة تاريخ الأديان"، الزراديتشية، المانوية.... الكتاب الخامس، مكتبة الفكر الجديد، 2018.ص 63

[70] جيوواید نغري نماني والمانوية تر سهيل دكار دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها ،ص ص 40 و 41

[71] محمد غلاب: "الفلسفة الشرقية"، مرجع سابق ص 203

فالمادة او الجسم الإنساني او " **الما كروسكومم**" و "**الميكروسكوم**" كما كانو يسمو نهما هما اصل الشر والسوء في هذه الحياة لأنهما سجن الروح النورانية ،ومن هذا أنشأت عند (**ماني**) فكرة وجوب تخليص النفس من الجسم ،او إنهاء هذا العالم المادي بإضعاف النوع البشري وإبادة النسل بوساطة حظر الزواج وغير ذلك من وسائل التخريب والتدمير التي عمل على نشرها والتي لم تكن ملائمة لطبيعة الفرس الذين حبب إليهم "**زرادشت**" متعة الحياة ولذاتها ،وعرفهم لوسائل القوة والاخصاب .[72]

الدارس للديانة المانوية للحضارة الفارسية القديمة والمتعمق في تفاصيل وتعاليم الديانة المانوية يلاحظ إن لها مرجعية تمثل تمثل انعكاساً واضحاً ونتاجاً للعديد من الأديان الأقدم، مثل البابلية والبوذية والمسيحية والزرادشتية. **...**

طبيعة الفكر المانوي (الافكار المعتقدات).

- **<u>مسألة الخلق في المعتقد المانوي:</u>**

تعتقد المانوية في مسألة الخلق الكون والانسان بوجود قوى عظمى تمثل الخير، هي" الإله"، وقوى تمثل الشر وتتجسد في كيان شبه أبدي هو "الشيطان"، ومن الصراع الأبدي بين هاتين القوتين، الإله / الشيطان – الخير /الشر، تولَّد الكون و خُلِق العالم والإنسان والروح، كنتاج ثانوي. وترى المانوية أن الإنسان إنما يمثل "أرض المعركة" في ذلك الصراع المستعر، حيث الروح تحوي في جوهرها كل من نور الإله وظلام الشيطان، وبين جنباتها تدور رحى الحرب الأزلية.[73]

<u>المراحل الثلاث لخلق الكون في العقيدة المانوية:</u>

- **الخلق الأول،** فكان فيه الخير والشر عبارة عن عالمين منفصلين، حيث الخير في عالم النور، يحكمه الإله الأعظم، أو " سيد العظمة"، وتجليات إلهية خمسة للنور تدعى "شيخيناس". والشر كذلك، يقبع في عالم الظلام الذي يحكمه "سيد الظلمات".

وبمرور الزمن، أدرك عالم الظلام وجود عالم النور، فتأججت الغيرة والحقد فيه، وقرر سيد الظلمات شن الهجوم عليه؛ هنا قامت " أم الحياة" بإرسال ابنها" الإنسان القديم/الأصلي " لمحاربة قوى الظلام وشيطان الجشع، وقامت التجليات الإلهية "شيخيناس" بتزويد المحارب الشجاع بدروع النور الخمسة لخداع سيد الظلمات والانتصار عليه. ومع ذلك هُزِم محارب

[72] المرجع نفسه ص 203

[73] فراس سواح: "موسوعة تاريخ الأديان"، الزراديتشية، المانوية.مرجع سابق ص، 65

النور أمام قوى الظلام التي امتصت من أنوار دروعه ما استطاعت إليها سبيلاً، ثم قامت بسجنه في غياهب عالم الظلام. [74]

- وأما **الخلق الثاني،** فبدأ حينما بعث " سيد العظمة " بندائه إلى "الروح الحي" و " الإنسان القديم "، فلبى الإنسان النداء. ومعا قام " الروح الحي" و أبناءه الخمسة و " أم الحياة" بخلق الكون من أجساد الشر التي استطاعوا استجلابها من عالم الظلام بكل ما تحويه من النور الذي امتصه الشر في المعركة الأولى. وقاموا باستخدام مزيج الظلام والنور هذا في صنع عشر سموات وثمانية كواكب، ومن النور خُلِقَت الشمس والقمر والنجوم. [75]
- أما عن **الخلق الثالث؛** فيما كانت الشياطين، ذكوراً وإناثاً، معلقين في السماء، بعد أن تم تجريدهم من كل أثر من النور الذي ابتلعوه ، ولم يبق منهم سوى الظلام والشهوة. لكن الشر ظل يقاوم ويجاهد لإعادة أكبر قدر ممكن من قوى النور إلى أجسادهم... وبعد حين من ذلك الصراع، ومع تأجج الشهوة في أجساد الشر، انغمست تلك المخلوقات في التزاوج والتناسل، وهنا خُلِق "آدم وحواء". [76]

وكان " سيد العظمة" يشهد في عليائه كل ما يدور، فقام بإرسال " يسوع المُخَلِّص" إلى "آدم" لينقذه من غفوته ويرشده إلى موطن النور "الخير" الكامن فيه. لكن آدم و حواء انساقا وراء شهواتهما و أنجبا بشرا مثلهما، يحملون الضوء في داخلهم أسيراً في قيود الجسد الإنساني وشهواته. [77]

وقد استطاع ماني ان يزاوج بين مبدأ الديانة الزرادشتية، وكان النور هو العنصر الهام للمخلوق الأسمى وقد نصب الإله عرشه في مملكة النور، ولكن لأنه كان نقيا غير أهل للصراع مع الشر فقد استدعى "أم الحياة" التي استدعت بدورها "الإنسان القديم" وهذا الثالوث هو تمثيل "للأب والأم والابن"، (التثليث في المسيحية[78])

وقوام الخلاص هو تحرير الروح من سجنها الجسدي فبذلك يمكنها أن تصعد الله، هذا وقد سبب لها تعايشها الطويل مع الجسد نسيان أصلها السامي أي سبب لها الجهل، والخلاص من الجهل هو المعرفة، ولذلك هو بحاجة للمخلص والذي سمى "ابن الله" أو "يسوع"، والجسد ورغباته شر

---

[74] جيوواید نغري نماني والمانوية تر سهيل دكار دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها ،مرجع سابق ص ص 43 44

[75] جيوواید نغري نماني والمانوية تر سهيل دكار دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها ،مرجع سابق ص 45

[76] المرجع نفسه ص 44

[77] فراس سواح: "موسوعة تاريخ الأديان"، الزراديتشية، المانوية..مرجع سابق .

[78] - عبد الحفيظ محمد إبراهيم حجاب: الأثر الإسلامي في الملحمة الإيرانية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 ،2008، 2 ص 2

لأمـــا يمنعـــان الـــروح مـــن الخـــلاص، ولـــذلك تشـــجع المانويـــة علـــى الزهـــد والرهبنـــة، كمـــا تحـــرم المانويـــة كـــل مـــا مـــن شـــأنه تشـــجيع شـــهوات الجســـد الحســـية.

لم تكن مبادئ المانوية تنشر في بلاد فارس حتى تذمر الشعب ما احتوت عليه من :ضعف ويأس وتشاؤم وانزواء وحرمان من لذات الحياة المباحة ،ثم اخدت هذه الضجة تعلو وتنتشر حتى بلغت اسماع الملك فأحضر ماني امامه ،وناقشه في مذهبه ،فلم يخف عليه شيئا مما فيه ،وصرح امامه بأن التخلص من الشر امر مستحيل وان استمرار العالم في الحياة معناه استمرار الشر ،وان الوسيلة الوحيدة للقضاء على هذا الشر هي تدمير هذا العالم فلم يكن من الملك الا ان قال له : ان الحكيم المخلص لمذهبه يجب ان يبدأ هو قبل غيره بتطبيق هذا المذهب على نفسه،فإن لم يفعل بدأ انصاره ومريدوه بتطبيق هذا المبدأ على استاذهم .ولما كنا من انصارك ،فقد وجب علينا ان نبدأ بتطبيق هذه المبادئ عليك ثم اشار الى الجلاد ان ابدا بتدميره ،ليؤمن قبل موته بالشروع في تحقيق مذهبه.[79]

المحاضرة الخامسة: ــ الزرادشتية:

اولا : الزرادشتية :

تشير الدراسات التاريخية حول اختلاف المصادر التاريخية التي تروي حقيقة وسيرة زرادشت حيث تداخل فيها البعد الاسطوري والديني ، مما جعل الخيال يتصادم مع الواقع بشأن حقيقة وجوده. وفحوى هذا الاختلاف في مصادر رواية سيرته الذاتية؛ أن " فالبعض يرى في شخصية زرادشت شخصية حقيقية وهذه الشخصية الحقيقية لها وجودها الفعلي، وتمتلك تاريخياً يمكن أثباته من الاثار المادية والنصوص المكتوبة ، والبعض الاخر يرى في شخصية زرادشت مجرد شخصية أسطورية ، اخترعها العقل الاسطوري والخيال الاجتماعي ، مضيف اليها الديانة الزرادشتية". [80] فمن هو زرادشت هل هو حقا شخصية حقيقية ام مجرد اسطورة خيالية ؟

أ ــ من هو زردشت؟:

فمنذ البداية لا يستطيع احد تحديد التاريخ الحقيقي لمولده او لوفاته فالمؤرخون اليونان واللاتيني يرجعون تاريخ مولده الى اقدم الازمنة .

ــ تشير الدراسات التاريخية الى ان زرادشت قد عاش في القرن السابع قبل الميلاد.ولد بين الفترة الزمنية من 1000 ق. م الى 650 ق. م، في المناطق الريفية من الجزء الشمالي

[79] محمد غلاب الفلسفات الشرقية ،مرجع سابق ص 203

[80] محمود محمد علي محمد: "الفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول ،مرجع سابق ص 240

الغربي من **ايران (آذربايجان)**، بالقرب من بحر قزوين. إلا أن المؤرخين يختلفون في الفترة التي عاش فيها. فبعضهم يدّعي بأنه عاش قبل الحملة التي قادها الأسكندر المقدوني بثلاثة قرون، وبعضهم الآخر يجعل ميلاده في أواسط الألف الثاني ق. م. وفريقاً ثالثا يجعل ميلاده في أوائل القرن السادس ق. م، أو في مطلع الألف الأول ق. م، أي حوالى عام 900 تقريباً وهناك من يرون انه عاش فيما بين القرن العاشر والقرن الثامن قبل الميلاد ،وبين كل تلك الرويات المتضاربة اتفق في النهاية على ان له بصورة تقليدية بأنه قد عاش فيما بين عام 660 و 583 قبل الميلاد. كانت وفاتو عام 583 ق.م بعد أن عاش 77 عاما وهذا هو التاريخ المتعارف عليه حديثا والذي حدد بصفة نهائية حياة زرادشت .[81]

ورد اسم زرادشت في نحو عشرين صيغة مختلفة الرسم والهجاء فاسم زورواستر مشتق من الكلمة الاغريقية زاراتوستر ،ومعنى كلمة :زارات :يعذب ،اما الكلمة الثانية :استرا :فتعني :جمل ،وعلى ذلك يكون معنى الاسم : معذب الجمل [82]

حكيت العديد من الرويات حول مولده حتى حول كيفية حمل امه به ،وكيف حاولت الارواح الشريرة والشياطين قتله في رحم امه ،ومدى سعي الكهنة والسحرة والعرافين بعد ميلاده إلى قتله لأنهم كانو يعلمون انه ذو شأن عظيم ،وسيبطل كل افعالهم وتذهب بذلك هيبتهم واستمالتهم للناس بسهولة ،الا إن إله زرادشت الواحد دائما كان يحميه ويحفظه من كل سوء يتعرض له ،إلى إن بلغ سن الثلاثين من عمره فآثر الوحدة والعزلة التي هي محراب الطبيعة الجليل حيث تتمكن النفوس من مناجاة بعضها البعض في صمت مطبق وفي هدوء تام ،ليلجأ زرادشت إلى قمم جبال الهضبة الايرانية ويتخد من النجوم والطير والمياه وكل المخلوقات اساتذة له يتعلم منها اسرار هذا الكون الذي لابد له خالق مبدع[83]

وهكذا تذهب الاساطير والرويات الى ان زرادشت كان واقفا في فجر احد الأيام على ضفة مجرى نهر (ديتي) المقدس ،واذا بشبح مقبل عليه من ناحية الجنوب وفي يده قضيب يشع منه نور ،كان ذلك الشبح هو **"فوهومناهو"**كبير الملائكة نادى فوهومناهو " زرادشت وطلب إليه ان يتبعه الى حيث يستمع لتعاليم اهورامزدا العظيم وملائكته الأطهار ،ولقن زرادشت وهو في الحضرة الالهية الاركان الاساسية للدين الجديد .

بعد هذه العزلة الطويلة عاد زرادشت الى مسقط رأسه ،غير ان الشيء الذي بهر أهل منطقته هو ذاك النور الذي كان يشع من طلعته ،اخد زرادشت بسرد ما نزل عليه من إلهام سماوي ومن تعاليم دين جديد لم يعرفه الفرس من قبل ،لكن اغلبية الناس لم يستسيغوا الفكرة ولم يأمنوا بهذا المعتقد الجديد الذي رأو فيه ميلا عن ديانتهم وطقوسهم التي ورثوها عن أسلافهم

[81] محمود محمد علي محمد: "الفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول، مرجع سابق ص 240
[82] المرجع نفسه ص 241.
[83] المرجع نفسه الصفحة نفسها .

فسعى زرادشت شرقا وغربا ينشر دينه الجديد واخذ اتباعه في تزايد مستمر الى ان قوى مركزه واشتد ساعده عندما اعتنق الملك (هستاسبيس) هذا الدين الجديد ،فكان ذلك بمثابة الدعامة الكبرى للديانة الزرادشتية.[84]

وتذهب بعض الرويات الى ان زرادشت لقي حتفه في الحروب بين فارس والصين إذ تربص به محارب (توراني) وطعنه طعنة قاتلة ،وهناك روايات أخرى حول موته منها أن شعاعا من نور أحاط به في يوم من الأيام صعد به إلى السماء ،والمتفق عليه من قبل المؤرخين هو أن عام 583 ق.م هو تاريخ وفاة زرادشت بعد ان عاش 77 عاما .

ب – مذهب زرادشت وتوجه الفكري:

الزرادشتية وهو أهم تيار ومذهب يجسد بحق الفكر الفارسي، والذي عرف تأثيرا وانتشارا واسعا، فتعتبر شخصية زرادشت مرجعا اساسيا للفكر الفارسي ومنبعه، فكل المدارس والتيارات الفكرية الفارسية نهلت من فكره وأفادت من أفكاره. وهو الرمز الديني للحضارة الفارسية، وهو نبيها المرسل. وأن أفكاره ومعتقداته ضمنها كتابه: "AVESTA الاستبراق". ومما تضمنه هذا الكتاب من قضايا فلسفية نذكر منها ما يلي:

- ـ **حقيقة الالوهية** : هو الله، وهو خالق كل شيء، تصور زرادشت للاله اهورامازدا الذي وحد زرادشت بينه وبين الخير توحيدا جعلهما اسمين لمسمى واحد فسبق افلاطون إلى هذا المزج الفلسفي والاخلاقي العظيم ،إن **اهورامازدا** هو الإله الأوحد عند زرادشت ،وهو وحده الذي لم يولد ولن يموت وهو علة العلل وليس له علة وهو المصدر الاول لجميع الموجودات .[85] فتؤمن الزرادشتية بأن أهورامزدا هو واحد مطلق وقديم وأزلي، لانهاية لحكمه ولا يمكن أن تدركه عين، موجود في كل مكان، عالم بالغيب وقدير على كل شيء، رحمان رحيم لا حد لعدله ورحمته ولا يقوى على تصوّره خيال إنسان ولا يمكن إدراك حقيقته. لم يلد ولم يولد ولا يمكن تحديد جنسه.

- **خلق الكون** : في نظره؛ أن العالم تتجاذبه قوتان: قوة الخير وقو الشر. وأن ثمة أربعة مراحل تمر بهما القوتان في نشاطهما في العالم هي: المرحلة الأولى والثانية=> مرحلة تجهيز القوة: أن الله جهز قوة الخير، والشيطان جهز الشر. **المرحلة الثالثة**=> اشتباك بين الخير والشر **والمرحلة الرابعة**=> انتصار الخير على الشر.[86]و فيما يتعلق بخلق الكون في المعتقد الزرادشتي، فإن أهورامزدا بعد أن يخلق عالم الملائكة وعالم الشياطين، فإنه يخلق سبع سموات ويزيّنها بالشمس والقمر والكواكب والنجوم ويجعل من السماء السابعة عرشا له ويجعل غلافها درعا وسياجا للكون، ثم يخلق البحار والرياح

[84] مصطفى حسن النشار: "الفلسفة الشرقية القديمة،مرجع سابق ص 171

[85] المرجع نفسه ،ص 172

[86] جيفري بارندر،ترامام عبد الفتاح امام المعتقدات الدينية لدى الشعوب ،مرجع سابق ص93

الممطرة لكي لا تجف البحار، ثم يخلق الارض في كبد السماء، ثم النباتات والاشجار، فالحيوانات، فالإنسان الاول(جيومرث).

- **وحدة النفس والجسد: (البشر):** البشر في نظر زرادشت صور للذات الإلهية تتميز بحريتها وقدرتها على الاختيار وبالتالي إتباعها لله أو الشيطان، البشر في نظر زرادشت عبارة عن نفوس وأجساد متلاحمة أو تشكل وحدة واحدة وتستمع بجملة من القيم أهمها حب الحياة والتمتع بها من دون إفراط ولا انعزال مع ضرورة الحفاظ على الجسم السليم [87]. وترى الزرادشتية بأن النفس البشرية هي في صراع بين الخير والشر ولذلك توجد حرب داخلية في كل شخص لاختيار الخير ولنبذ الشر. ولكن الشيطان يوسوس دائما في أنفس البشر وعقولهم ويُحاول أن يُبعد الناس عن القرار الصحيح.

- **الأخلاق:** تعد فلسفة زرادشت فلسفة أخلاقية تقدم على ثنائية الخير والشر أو النور والظلام أو النهار والليل وفي هذا يقول "في بداية الزمن كان النور فوق والظلمة تحت وبين هذين الاثنين فراغ مكشوف سكن (أهرمزاد)=الله، مملكة النور ومملكة الظلام". واستنادا إلى هذه الثنائية اشتق زرادشت مجموعة من المبادئ الأخلاقية ذات طبيعة العملية هي أقرب إلى الوصايا العشرة وهي: 1- حسن السمعة (بغرض اكتساب احترام الناس) 2- ضرورة تجنب ما يسئ للسمعة. 3- ضرورة إتباع تعاليم المعلم 4- ضرورة طاعة المعلم. 5- كل شيء يخضع للجزاء والعقاب. 6- اجعل من دارك ملتقى للصالحين. 7- الاعتراف علانية بالخطايا. 8- ضرورة تجنب كل ما يؤدي إلى الخطايا. 9- عليك أن تعمل على نشر العقيدة الحقة. 10 عليك أن تقدم الاحترام اللائق للكهنة [88].

من خلال هذه الوصايا يتبين لنا التوجه العملي للاخلاق عند زرادشت ،وهذا التوجه يقوم على على قيمتين أساسيتين: قيمة المنع والتحريم، وقيمة المسموح والمقبول . انتهت افكار زرادشت وتعاليمه الى تبلور دين رسمي يحمل اسمه، سمي بالزرادشتية. فما هي الزرادشتية وفيما تتمثل مصادرها ؟.

الديانة الزراديتشية:

الزرادشتية من اقدم الديانات في حضارة وادي الرافدين ،ومؤسسها زرادشت او زوراستر Zoroaster وهو الاسم الذي ذاع استخدامه عند اليونان . وعاش زرادشت في منتصف

[87] ا جيفري بارندر،ترامام عبد الفتاح امام المعتقدات الدينية لدى الشعوب ،مرجع سابق ص 94
[88] محمود محمد علي محمد: "الفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول ،مرجع سابق ص 243

القرن السابع قبل الميلاد ،وتوفي عام 583 ق.م وكان يقيم بازريمان وقد انتشر الدين الذي بشر به من "بلخ"إلى فارس " وذلك على اثر ايمان الملك الفارسي به .[89]

وهي من الديانات التي تقدس الحق والصدق، وتتمحور حول الاله الواحد المطلق، الذي يخلق إلهين، يختار أحدهما الخير والنور واسمه (أهورامزدا) ويختار الثاني الشرّ والظلام واسمه (أهريمان). ولهذا تسمى هذه الديانة بالوحدانية الثنوية(الثنائية)، التي تقف في تعارض مع مفهوم التعددية ولكنها لا تلغي صفة الوحدانية. وتُقدم التفسيرات المنطقية لوجود الكون والعالم والخير والشر، اذ تُعلم بوجود الاله أهورمازدا، وهو إله واحد لا ثاني له في الألوهة، خالق كل ما هو جيّد وحسن في الوجود، والاله أهريمان، الذي هو مصدر كل شرّ وظلام في الوجود. والإلهين هما في صراع دائم الى نهاية العالم حيث ينتصر إله الخير على إله الشر، ويختفي الشرّ من العالم في الصراع الأخير بينهما(حسب التعاليم الزرادشتية).[90]

بناء على هذا فإن الخير والشر في صراع دائم والصراع بينهما ليس للمجتمع فقط بل الفرد نفسه فعلى الانسان أن يختار بين فعل الخير والتوجه له بعقله وقلبه وأن يتبع تلك الديانات الزائفة ويتبع الشيطان في كل تصرفاته، وإذا أراد الانسان الاستقرار الأبدي فعليه أن ينتصر على نوازع الشر.

عمر زرادشت تعاليمه على ضرورة توحيد قوى الخير لمحاربة قوى الشر وحسب "زرادشت"ً فإنه يؤمن بمبدأ الثواب والعقاب الأخروي وأن الصالحون المؤمنون لهم أجر حسن سيستقبلهم "أهورامازدا" ويتمتعون في كنفه بالسعادة الأبدية، وفي إطار هذه الرؤية الدينية الفلسفية للإله وللمصير الإنساني يؤمن "زرادشت" وأتباعه بضرورة أن يحيا الناس حياة اجتماعية معتدلة يتسق فيها القول مع الفعل والفكر مع العمل وعلى الناس أن يقهروا بعقولهم الشكوك والرغبات السيئة ويقهروا الجشع بالرضا والحسد بالإحسان".

بناء على هذا القول فإن "زر ادشت" يؤمن بالحياة بعد الموت وأن الناس الخيرين لهم مصير حسن وأن الناس التي تحمل شرا سيكون لها مصير سيء وسيلقون نصيبهم من العذاب، ويظهر من خلال رسالته وهي رسالة خلقية يهتم بالدعوى إلى الفضيلة وترك الرذيلة وجعل الخير الغاية الأسمى والأرقى، والهدف الذي يجب أن يسعى إليه كل فرد ويجتهد في تحقيقه، فربطت الزرادشتية بين فعل الخير ونقاء الروح

[89] محمود محمد علي محمد: "الفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول ،مرجع سابق ص 240
[90] مصطفى حسن النشار: "الفلسفة الشرقية القديمة ،مرجع سابق ص 172

ما كانت تهدف إليه العقائد الزرادشتية هو: خلق مجتمع عادل ومتسامح وبعيد عن الشر. وتختصر الأخلاقيات الزرادشتية في ستة وصايا تقوم عليها الديانة وهي: 1 ـ طهارة الفكر والكلمة والعمل. 2 ـ النظافة والإبتعاد عن النجاسات. 3 ـ ممارسة الرحمة والإحسانات المختلفة. 4 ـ الرفق بالحيوانات النافعة والأليفة. 5 ـ القيام بالأفعال الخيّرة والنافعة. 6 ـ نشر التعليم بين الناس من دون تمييز.

المحاضرة الثامنة: الفكر البابلي:

أ ــ الفكر البابلي: سياقه الحضاري وخصائصه.

1- **حضارة بابل (التاريخ والجغرافيا):**

تمهيد:

تعتبر بلاد ما بين النهرين منطقة قديمة ازدهرت فيها حضارات العالم الأولى،وهي تشمل- بلاد ما بين النهرين- المنطقة التي تضم الآن، شرقي سوريا، وجنوب شرقي تركيا، ومعظم منطقة العراق. وامتدت هذه المنطقة من جبال طوروس شمالاً، وحتى الخليج العربي في الجنوب، ومن جبال زاغروس شرقاً، إلى بادية الشام في الغرب. ولكن قلب تلك المنطقة، كان أرضًا تمتد ما بين نهري دجلة والفرات و تسمى أحيانًا بلاد الرافدين.

الحضارة البابلية منطقة تاريخية تقع حول نهري دجلة والفرات. وقد سمّاها الأقدمون بعدة أسماء، منها **بابلونيا، أرض بابل، بلاد مابين النهرين ووادي الرافدين** .ويقصد بها المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات، وازدهرت فيها حضارات السومريين والأكاديين (الآشوريين والبابليين). بدأت في هذه المنطقة حضارة عظيمة، في حوالي سنة3500 ق.م، بدأها السومريون واستمرت حتى القرن السادس قبل الميلاد وانتهت بسقوط بابل الكلدانية أمام الفرس. وقد ابتدعت هذه الحضارة شكلاً من أقدم أشكال الكتابة، وسنَّت مجموعات قوانين، وطورت علوم الرياضيات والفلك وغيرها. وحكم أرض بابل حكام عظام، مثل **(حمورابي ونبوخذ نصر وقورش الكبير والإسكندر الأكبر المقدوني)**.[91] وهكذا نشأت الحضارة الاولى ،ونشأت اول مدينة في العالم ،الى جانب المدينة المصرية إضافة الى عامل المناخ وقيام الزراعة ،وجود المعادن في تلك المنطقة ،التي لعبت دورا كبيرا في قيام حضارات قوية ،ترتكز على أسس صناعية وتجارية وعسكرية قوية فقد دلت الحفريات الاثرية على وجود النحاس في أراضي الجزيرة **(الدجلة والفرات)** حوالي 4500 ق.م [92]

وتأسست الحضارة البابلية في عام 1763ق. م على يد(حمورابي)، في بلاد ما بين النهرين، وكان الفرس يطلقون عليها **(بابروش)** أي دولة بلاد ما بين النهرين، كما كانت تعرف سابقاً ببلاد سومر، و تعني بابل بالأكّدية (بوابة الإله).

وقد تحدث البابليون بلسانهم البابلي، واشتهروا بعلومهم والتطورات الهائلة التي قاموا بها اضافة الى احتكامهم للقوانين التي تنظمهم و أشهر ما يقدم كدليل هو شريعة الملك حمورابي، وقد أبدى البابليون اهتماما حثيثا في التجارة ومختلف أنواع الفنون 93.

انجازات الحضارة البابلية:

الكتابة : هي احدى واهم المنجزات الجوهرية والثقافية للإنسان بالرغم من أنها تبدو للوهلة الأولى تلعب دورا تقنيا في تاريخ الثقافة فقط إلا انه بدونها لم يكن لتتوفر إمكانية ذلك التطور العظيم للإنسانية من العصر الحجري الى العصر الذري الذي جعل العالم يبدو كما هو عليه الآن ونتفق نحن مع ذلك كليا إذ يعتبر المختصون أن من اوجد أقدم منظومة للكتابة

[91] فيليب حتي، موجز تاريخ الشرق الأدنى، تر: أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، 1965 ص 49
[92] محمد محسن: "تيارات الفلسفة الشرقية"، مرجع سابق .ص 94
[93] فيليب حتي، موجز تاريخ الشرق الأدنى، تر: أنيس فريحة، مرجع سابق ص 49

المسمارية هم سكان مابين النهرين حيث يعتقد البعض أنهم كانوا سومريون أما البعض الأخر فينسب هذا الاكتشاف لشعوب أخرى .

ابدع السوماريون نظام الكتابة المسمارية السومرية، لكتابة لغتهم الخاصة، اقتبسوا أيضًا عددًا كبيرًا من القصص السومرية. إلا أنهم بدلوا الروايات الأسطورية حول الخلق وسير آلهتهم كي توافق نظامهم الديني الخاص. وأعظم هذه الروايات شهرة **قصة الخلق** و**ملحمة جلجامش** ..كما أبدع الأكاديون أيضًا مجموعة من القوانين سُميت بتشريعات حمورابي القانونية، وكتب الآشوريون المتحدثون باللهجة الثانية من الأكادية عن مغامرات الملوك وجيوشهم بعد الحقبة البابلية الباكرة...

الفلك : وقد كان الفلك هو العلم الذي امتاز به البابليون، وهو الذي اشتهروا به في العالم القديم وكان أيضا السحر منشأ العلم .. فلم يدرس البابليون النجوم ليرسموا الخرائط التي تعين علي مسير القوافل او السفن، بل درسوه أكثر لكي يعينهم علي التنبؤ بمستقبل الناس ومصائرهم.

العلوم والفنون :إن قراءة العلوم والفنون في الحضارات العربية القديمة بما فيها الحضارة البابلية تتم من خلال جدلية العلاقة بين العلوم والفنون من جهة ،والتصور الميثولوجي والثيولوجي العقيدي من جهة اخرى ،بين التصور المعرفي النظري ،والممارسة الحياتية المنطوية على فهم وتأكيد عميق للتصور المعرفي ،فجاءت العلوم والفنون ،تعبيرا رسميا عن هذا الوجود الميثولوجي والعقيدي.[94]

ولعل المرجح تاريخيا أن الحضارات الأولى لم تنشأ في كل أنحاء الأرض في وقت واحد، بل أخذ المد الحضاري عبر هجرات مختلفة يمتد شيئا فشيئا من جزيرة العـرب مهد آدم وحواء (عليهما السلام) إلـى المناطق القريبة المفتوحــة المجاورة لها، فنشأت في أرض الرافدين والشام ومصر بواكير هذه الحضارات الإنسانية الأولى، ففي السهل الخصيب الذي يكونه نهر دجلة والفرات، بدأت ملامح الوجود السومري تتضح مند منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، حيث استوطن السومريون هذا الجزء من العالم وبنوا فيه مدنا وقصورا اتسمت بالفخامة والروعة والجمال.[95]

وإن الفن ألرافدي الذي هو الفن العربي في بدايته هو من أقدم الفنون على الإطلاق، وإن حضارة بلاد مابين النهرين تشمل حضارات عدة:

- **الحضارة السومرية**: التي تمركزت في الجنوب وكان من أهم مدنها أوروك (الورقاء) وأور وسوزا وحسونة.

[94] محمد محسن: "تيارات الفلسفة الشرقية"، مرجع سابق ص 107

[95] مصطفى عبدو مدخل الى فلسفة الجمال محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية ، الناشر مكتبة مدبولي ،القاهرة ط2 سنة 1999ص 39

- **الحضارة الأكادية**: وهي أقدم حضارة عربية وقد اختلطت بالحضارة السومرية، ثم احتلت مكانها وكان مركزها في وسط العراق.
- **الحضارة البابلية**: وهي أكادية ومركزها ميدنة بابل
- **الحضارة الاشورية**: والتي كان من أشهر مدنها أشور والحضارة الأموية وكان مركزها في سوريا[96].

و تدل الاثار الفنية والثقافية المكتشفة في (اور، الكيس، الوركاء، لجش، بابل، آشور) على ما وصلت إليه حضارة بلاد ما بين النهرين في عالم الإبداع الفني والفكر الجمالي من رقي وازدهار، وإن (زيقورة) مدينة اور وبرج (بابل) وباب (عشتار) ومنحوتات الأشورين تدل على أهمية فن العمارة والنحت وخصائصها الجمالية.

والآثار الطينية التي أبدعها فنان بلاد ما بين النهرين تدل على روح الإبداع وحب الإبتكار ورغبة في رؤية الجمال في كل ما كان يستخدمه أو يحيط به،وفي بلاد الرافدين نَفَذ الفنان رسوماته أيضًا على جدران المعابد والقصور والزقورات، واستخدم الطين المخلوط بالجير لتغطية الجدران...، وغرز أشكالا فخارية ملونة في الطين كالفسيفساء، فكانت من أجمل التقنيات التي أبدعها الفنان الرافدي، فقد أعد السومريون مخاريط من الطوب المشوي على هيئة مسامير ولونوا رؤوسها المفلطحة بألوان مختلفة، ثم قاموا بطلاء السطح المخصص للزخرفة بطبقة من الطين وغرزوا فيها المسامير المذكورة...، وقد عبرت الرسوم الجدارية عن الطقوس الدينية وعن مظاهر الاحتفالات الملكية وأمجاد الملوك والأباطرة...، ومناظر الصيد والأساطير المختلفة، وعن قصص الآلهة وانتصاراتها.[97]

فقد سيطرت على حضارة أرض النهرين ديانات أتاحت عبادة الكثير من الألهة، ولكنها أنكرت فكرة خلود الإنسان، وقد عبرت **ملحمة جلجامش** "البابلية" عن هذه العقيدة وقد دارت هذه الديانات حول تمجيد الشمس والقمر والأرض...، وقد اقتضت طقوس العبادة في هذه الديانات تشييد الهياكل العالية ذات الأبراج ...، وإن أوضح مثال على أثر للعقيدة كان يتمثل في عمارة الأبراج التي كانت بيوتا للعبادة،[98] وإن نصب (نارام سن) يعد وثيقة تاريخية وعملا فنيا رائعا، وكما يعد (قانون حمورابي) وثيقة قانونية هامة وأثرا فنيا خالدا، وكذلك تماثيل (جوديا) تعد من روائع فن النحث التي أبدعها ذلك الإنسان الفنان من حجر الديوريت، وكذلك تمثال الملكة (نابيرآسو) البرونزي يدل على إبداع يدوي وخبرة مهنية وذوق فني وثقافة جمالية.

ب ـ الخصائص والسمات العامة للفكر البابلي:

[96] عوض رياض ،مقدمة في فلسفة الفن ، جروس برس طرابلس لبنان ط1 سنة 1994.ص 162

[97] حلا الصابوني ،الفن الجداري الاشوري ،مجلة جامعة دمشق العلوم الهندسية المجلد الخامس وعشرون ،العدد الاول 2009م

[98] إسماعيل عز الدين ، الفن والإنسان،مرجع سابق ص48

يتسم الفكر البابلي بالتنوع والثراء المعرفي من قبيل الأدب والفنون والعلوم العقلية والتجريبية، وقد تجلى ذلك على سبيل المثال في: • مساهمتهم في الرياضيات والفلك • وإنشائهم لأول مكتبة في التاريخ وهي مكتبة آشور بنيبال وهو واحد من كبار الحكام آنذاك • و إقامتهم لأول شريعة في التاريخ تعرف بقوانين حمورابي • وفي المجال العقلي النظري ساهم الفكر البابلي في بلورة تصورات فلسفية الفلسفية، منها:

- **أصل الكون**: يري البابليون الأوائل أن الماء هو العنصر المؤسس للكون وبذلك يكونون قد سجلوا سبقا على الفكر اليوناني في هذه المسألة، وبشكل خاص ما قال به طاليس، ويؤكد ذلك ما تتضمنه قصيدة **"جلجامش"** المشهورة حيث يقول أحد مقاطعها:(إن إبسو- المحيط أي الماء- أبو كل الأشياء، خلق كل شيء وبعد أن امتزج مع أخيوس- الأرض أو التربة- لم يكن قد ظهر فيه أي حقل ولم يكن هنالك وجود لمستنقعات، لم يكن أحد من الآلهة قد خلق ولم يكن أحد قد اتخذ له اسما ولم تكن المصائر قد تقررت...). وهو يفيد هذا المقطع بصورة واضحة أن الماء سابق لجميع الموجودات وأنه هو منشؤها.

- **قضية الخلود**: سردت ملحمة جلجامش مسألة الخلود وبينت أن الفكر البابلي لم يكن يؤمن بالأبدية وإنما أقر بفكرة الفناء، ومن هنا الطابع التشاؤمي لهذه الملحمة التي تدعو إلى ضرورة التمتع بالحياة قدر الإمكان، يؤكد هذا القول بعض مقاطع الملحمة منها على سبيل المثال (إلى أين ذاهب يا جلجامش إن الحياة التي تبغيها سوف لا تجدها عندما خلقت الأرباب البشرية فرضت الموت عليها واحتكروا الحياة في أيديهم).[99] كما يؤكد هذه الفكرة مقطع آخر من القصيدة يرثى فيها البطل أحد أصدقائه ويسمى أنكيدو يقول (أندكيدو الذي أحبه كثيرا قد وصله مصير البشرية وصديقي الذي أحبه سيغدو كالطين فهل أرقد أنا مثله ولا أنهض إلى أبد الآبدين). تؤكد هذه المقاطع وغيرها كثير قناعة البابلين بالفناء وعدم قولهم بالخلود أو بوجود حياة أبدية أخرى لذا دعى الفكر البابلي إلى ضرورة الاستمتاع بالحياة مثل ما يقول هذا المقطع(كن فرحا ليلا نهارا وأعمل طربا كل يوم). [100]

- **حقيقة الالوهية** : أقرّ الفكر البابلي في المرحلة الأولى من نشأته بفكرة بتعدد الآلهة، ومن أشهر آلهتهم: بعل، عشتار، شماس، آنو وكلها ترمز للشمس أو الماء أو التراب لأنهم عادة يعبدون الطبيعة لاعتقادهم بأنها مصدر حياتهم، ثم اكتشفوا فكرة التوحيد وفكرة الإله الواحد التي قال بها سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي ولد في مدينة أور الكلدانية وهاجر إلى أرض كنعان حيث تعتبر هذه الرحلة من أعظم الرحلات التي قام بها الإنسان، كان

[99] سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، دار المنشورات الثقافية، العراق، 1988
[100] نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم-حضارات الشرق القديم العراق وفارس-ج 6، دار المعارف، لبنان، 1967

قوم سيدنا إبراهيم يؤمنون بإله القمر ويسمى في لغتهم نانار ودعاهم إلى ضرورة التخلي عن عبادة هذه المظاهر الكونية التي لا تعبر إلا عن قدرة إله واحد [101].

- **فلسفة القانون**: أسس الفكر البابلي لإقامة قواعد للتنظيم الاجتماعي والسياسي، والتي عرفت باسم "قوانين حمورابي"، وهذه القوانين تجسد فكرتين أساسيتين: الفكرة الأولى ضرورة تنظيم المجتمع وفقا لقوانين معينة، ثانيا ارتباط هذا النظام بفكرة العدالة وذلك أن العدل يشترط النظام ويرفض الفوضى ويبين نص من نصوص هذا القانون مدى ارتباطه كذلك بمؤسسه ألا وهو **حمورابي يقول حمورابي** (أنا الحاكم الحارس أضم بين أحضاني أهالي بلاد سومر وأكاد وكجت حماهم حتى لا يضطهد القوي الضعيف وحتى يتحتم عليهم أن يتوفوا العدل في معاملتهم اليتيمة والأرمل. دع أي شخص مظلوم له حق يمثل أمام صورتي كملك للعدالة. دعه يقرأ النقوش التي على ضريحي دعه يعير وزنا لكلماتي الراجحة) "اللهم اجعل ضريحي ينير له طريقه ويدرك قضيته، اللهم أرح قلبه إذا ما قال حمورابي حاكم أشبه بأب حقيقي لشعبه أقام الرخاء لشعبه طوال الزمن ومنح البلاد حكومة طاهرة وفي الأيام القادمة اللهم اجعل الملك الذي يتولى حكم البلاد يراعي كلمات العدل التي كتبها على ضريحه)[102].

المحاضرة التاسعة : الفكر السومري

المناخ الحضاري للفكر السومري :النشأة والخصوصية

السومريون من اوائل الشعوب التي سكنت بلاد ما بُين النهرين ويرجع ظهورهم حوالي4000 ق/م، وأطلق عليهم هذا التسمية نسبة الى منطقة سومر التي استقروا فيها، وتقع في جنوب العراق وتشمل الارضي الفاصلة بين نهرى دجلة والفرات وتمتد لمسافة نحو350كم ما بين مدينة بغداد وموقع مديتي "اور" و "أريدو" بالقرب من شط العرب.[103]

اما عن الاصول السومارية فهي ترجع إلى قبائل هاجرت من وسط آسيا في الألفية الرابعة واستوطنت في هذه المنطقة، واستمر وجودهم لفترات زمنية طويلة ممتدة. وتمكنوا خلال قرون من إقامة الدولة التي نمت وتطورت في حضارتها وعلومها ومعمارها وفنونها. وهو ما تؤكده مصادر تاريخية كثيرة.

بحيث توجد نظرية ترجح أن السومريين من أصل (عراقي) وفدوا الى جنوب بلاد ما بُين النهرين من إيران أو من الغرب في مشال افريقيا عبر فلسطُين وسورية، أو من مناطق القوقاز وأرمنيا في الشمال مخترقين أرض الجزيرة التي يحيط بها النهران، وبعض الباحثُين

[101] سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم،مرجع سابق ص

[102] غازي الصوراني: "بدايات الفكر الفلسفي في بابل ومصر القديمة"، الحوار المتمدن، 6662 – 09/15/ 2022

[103] حلمي محروس اسماعيل ،الشرق العربي القديم وحضاراته ،بلاد مابين النهرين الشام والجزيرة العربية القديمة ،الاسكندري 1998 ص 09

يقولون أنهم قدموا من موطنهم الأصلي في جنوب الهند، ويتجه رأي آخر لربط بُين السومريُين وبُين العلامين الذين استقرو افي شرق الحوض الأدنى لنهر دجلة والفرات لأن الأواني الفخارية التي عثر عليها من مخلفات الشعبُين كانت متشابهة الى حد كبَير، كما تقاربت الكتابة عندهما، ويعتقد أنهم ليسوا من أجناس السامي الذي عمر بقية أراضي ما بُين النهرين.

انجازات الحضارة السومرية:

كان من أعظم منجزات السومرية الري والزراعة ،فقد بني المهندسون الاقنية والسدود والخزانات واستعملوا أدوات التسوية والقياس والخرائط وكانت حساباتهم مرتكزة على الرقم (60) كما وحدت المكاييل ،وحل المحراث مكان المجرفة كما وجدت لدى السومريين مدارس لتعليم الزراعة وصناعة المعادن والتبييض والصباغ وأدوات التجميل والعطور واستعمل الأطباء مشتقات النبات والحيوان والمعادن في تحضير الادوية .انت تربى الاغنام والمعز والابقار والخنازير في المراعي كما كان يتم اصطياد الاسماك في نطاق واسع أما اصطياد الاسود فكانت رياضة خاصة بالملوك.[104] ويعتبر السومريون هم أول من عرفوا دبغ الجلود، واستخدموا الخياطة وغزل الصوف.

من أهم الصناعات المنسوجات والمفروشات وصناعة الأدوات والأواني الفخارية والزخرفية وصناعة الطوب لبناء المساكن وأسوار المدن، وكان البرونز يستخدم في صناعة الأسلحة كما صنعت الحلي وأدوات الزينة من الذهب والفضة، ويبدوا أن الملوك السومريين قد احتكروا صناعة النسيج التي كانت واسعة الانتشار عند السومريُين وكان يشرف على هذه الصناعة بدقة مراقبون حكوميين.

كان العلم والمعرفة قاصرين منذ أقدم العصور على طبيعة قليلة هي طبقة الكتبة التي تنتسب الى الكهنة ،كما أن العثور على النصوص الأدبية في العلاقات القديمة تمثل نسبة ضئيلة مما أمكن الكشف عنه من ألواح طينية مكتوبة بالخط المسماري ،ويستطيع الباحث عن طريقها تكوين فكرة موضوعية عن طبيعة الأدب والمواضيع التي تناولها وخصائصها فنجد منها أدب الحكمة وأدب القصة أدب المفاخرة والمناظرة وأدب الحب والغزل وغيرها.[105]

والكتابة أروع ماخلفه السومريون ،ويبدو هذا الفن عندهم فن عظيم الرقي صالح لتعبير عن افكارهم المعقدة ،والشعر والدين والنقوش الحجرية ،وتبدأ الألواح الطينية في الظهور حوالي 3200 ق.م ويلوح أن السومريين قد بدئوا من ذلك الوقت يجدون في هذا الكشف العظيم مرتاح لنفوسهم وما يفي أغراضهم فاستطاع كتابهم بفضل هذه المادة اللينة الغير سريعة

[104] حلمي محروس اسماعيل ،الشرق العربي القديم وحضاراته ،،مرجع سابق ص 104
[105] ا المرجع نفسه ، ص 104

الزوال أن يحتفظوا بالسجلات ،ويدونوا العقود والنشاطات ،ويكتبوا الوثائق الرسمية ويسجلوا الممتلكات والأحكام القضائية والبيوع .[106]

قدمت الحضارة السومرية أقدم ما هو معروف حتى الآن على الاشتغال بالرياضيات ،فهم من طور استخدام النظام الستيني في العد ،وأول من اوجد القبة ،وأول من بنا الصروح الضخمة في (**أور، واروك ،ولكش**) ، كما هو معروف من الزاقورات ،الأمر الذي يحتاج الى حسابات هندسية رياضية ،كما تبين النصوص أنهم اكتشفوا بعض الكواكب منها كوكب عطارد ...

طبيعة الفكر التأملي السومري وخصوصيته:

ان المفكر السومري الكثير التأمل كانت له القدرة العقلية على ان يفكر تفكيرا منطقيا مترابطا ومفهوما في أي قضايا فكرية ،بما في ذلك قضايا اصل الكون ونظام سيره.

إن الفكر التأملي الذي تستبطنه الآداب السومرية ، هو ضرب من الحدس في عملية الإدراك، وهو حدس "يكاد تكون أقرب إلى الرؤيا". ومفاد هذا الأسلوب الحدسي الذي مارسه الفكر التأملي عبر وساطة الأدب، "أن السومريّين كانوا يقصّون الأساطير عوضاً عن القيام بالتحليل والاستنتاج . ومثال ذلك؛ أنهم نظروا إلى ظاهرة "سقوط الأمطار بعد جدب، بأنها وساطة من الطير المركب العملاق (أمدكَود) إذ جاء لإنقاذهم ، فكسا السماء بجناحيه من سحب الزوابع السوداء، وألتهم (ثور السماء) الذي كان قد أحرق الزرع بأنفاسهِ الملتهبة ولذلك يجب أن نأخذ الأسطورة، السومرية، محمل الجد، كونها تكشف عن حقائق مهمة، وإن يتعذر إثباتها، حقائق من النوع الذي ندعوه حقائق ميتافيزيقية.

- **حقيقة الألوهية:**

كان الإنسان يشعر بوجود الآلهة لكنه لا يراها رغم أنها كانت تسير الكون وتسيطر عليه وتمرح في أرجائه،والكون من ناحية أخرى مكون من أجساد ومادة الآلهة فالسماء هي جسد او مادة الإله (**آن**) والأرض هي جسد ومادة الآلهة (كي) والمياه (انكي) والهواء (انليل) وهكذا الكواكب وغيرها .[107] هو ما يميّز حقيقة الألوهية في المعتقد الديني السومري. أي أن حقيقة الألوهية قوامها تعدد الآلهة وتزاوجها وتناسلها، أن عبادة السومريين للآلهة قامت على "الأروحية " أي أن لكل شيء روح سواء كان كائن حي أو جماد، حتى جعلوا إلهًا للمسمار وآخر لقالب الآجر.. إلخ

[106] عبد العزيز عبد الغني اصول الحضارة ،دار الفكر لنشر والتوزيع ص ص 138 139
[107] خزعل الماجدي ،متون سومر التاريخ ،الميثولوجيا اللاهوت الطقوس، مرجع سابق ص 252

وأن السومريين أيضًا، عبدوا الأشباح، فجاء في دائرة المعارف الكتابية "إنه يمكننا أن نقول أن في أعماق هذا الشعب القديم، وخلف إيمانهم بالآلهة، كان يستقر الإيمان " بالأرواحية" (Animism - أي مذهب حيوية المادة) فقد اعتقدوا أن كل شيء، حيًّا كان أو غير حي له "زى" (Zi أي روح).. وإلى جانب هذا الاعتقاد بالأرواحية يبدو أن السومريين الأوائل اعتقدوا في وجود أشباح أو أرواح لها علاقة بعالم الأموات، تمامًا كما أن الروح (Zi) لها علاقة بعالم الأحياء، وكان "ليل" (Lil) أو الشبح (الروح) الشيطاني عند السومريين عاش على مر تاريخ الديانة البابلية" [108]...

- **مشكلة خلق الكون:**

حكى أسطورة الخلق السومرية عن خلقة الآلهة، ففي البدء كان الإلهة "نمو " NAMU التي تعتبر البحر الأزلي، فهكذا رأت بعض الشعوب القديمة أن خروج كل شيء من الماء، مثلما يخرج الجنين من الماء الرحم للأم، وقد اعتقد السومريون أن البحر الأزلي ولد ابنه "آن " الذي يمثل السماء أو إله السماء، وابنته "إنكى " التي تمثل الأرض أو إلهة الأرض، وتزوج "آن " من أخته "إنكى " فكان يحنو عليها ولا يفارقها، ويغمرها بالمطر، فولدت "إنكى " ابنها "أنليل " إله الهواء، الذي لم يطق أن يعيش في السجن الضيق مع أبيه "آن " وأمه "كى"، فدفع بأبيه "آن " إلى أعلى[109]، وبذلك اتسعت المساحة بين السماء والأرض، وراح "أنليل " يلهو ويمرح، وعندما جلس "آن " على عرش السماء خلق "الأنانوكى " أي مجلس للآلهة ليحكم الكون بالعدل، وظهر من الآلهة السومرية سبعة آلهة كبار وخمسون إلهًا صغيرًا. أما "آن " فكان هو الأكبر والأعظم في الآلهة، له العرش والتاج والغلبة فهو إله السماء، وقد أورث ابنه "أنليل " قوته وبطشه، وفوضه في حكم الأرض، فصارت كلمة "أنليل " مقدَّسة على الأرض، وتصوَّر السومريون الأرض (إنكى) قرصًا منبسطًا تحده الهند شرقًا، والبحر المتوسط غربًا، والأناضول شمالًا، وجزيرة العرب جنوبًا، ويقع أسفل الأرض العالم السفلى (مقر الأموات).

ثم ولد "أنليل " إله الهواء ابنه "نانا " إله القمر، وولد "نانا " ابنه "أوتو " إله الشمس الذي فاقه في الضياء. ثم خلقت الآلهة الكواكب والنجوم، وظهرت معالم الحياة على الأرض، والحقيقة أنه لا توجد ملحمة واحدة متكاملة توضح نشأة العالم في الفكر السومري.

في هذا السياق يرى الأب سهيل فاشا أن "أفكار السومريين عن الخلق والتكوين لم تكن أفكارًا بدائية، بل أفكارًا ناضجة بالدرجة التي تتيحها معارف تلك الفترة من بداية حضارة الإنسان". ويقول فراس السواح "والآن إذا حرَّرنا هذه السلسلة الأسطورية من رموزها

---

[108] المرجع نفسه ،ص ص 262 263

[109] خزعل الماجدي ،متون سومر التاريخ ،الميثولوجيا اللاهوت الطقوس، مرجع سابق ص 68

ومفرداتها الميثولوجية، وترجمناها إلى لغتنا العلمية الحديثة، ظهر لنا منطقها المتماسك والملاحظات العلمية التي قادت لها.

1- في البدء لم يكن موجود سوى المياه التي صدر عنها كل شيء وكل حياة.

2- في وسط هذه الحياة الأولى ظهرت جزيرة يابسة على هيئة جبل قبته هي السماء، وقاعدته هي الأرض، ومن لقاء القبة بالقاعدة ظهر الهواء، العنصر المادي الثالث بعد المياه والتراب.

3- من الصفات الأساسية لهذا العنصر الجديد التمدد، ويتمدد هذه المادة الغازية، تباعدت السماء عن الأرض.

4- لم يكن القمر السابح في الهواء إلاَّ نتاجًا للهواء وأبنًا له، وربما كان من نفس العنصر أيضًا. أما الشمس فهي الابن الذي فاق أباه القمر قوة، وخلَّفه على عرش السماء فيما بعد.

5- بعد أن ابتعدت السماء عن الأرض، وغمرت أشعة الشمس الدافئة وجه البسيطة، تهيأت الشروط اللازمة للحياة، فظهرت النباتات والحيوان وتم خلق الإنسان". فكيف خلق الإنسان في المعتقد السومري؟

- **خلق الإنسان :**

الأسطورة السومرية المتعلقة بخلق الإنسان هي أول أسطورة خطتها يد الإنسان عن هذا الموضوع ،وعلى منوالها جرت أساطير المنطقة والمناطق المجاورة التي استمدت منها عناصرها الأساسية وخصوصا فكرة تكوين الإنسان من طين وفكرة تصوير الإنسان على صورة الآلهة .

أما لماذا خلق الانسان ؟ فأن الأسطورة السومرية لا تتردد في الإجابة على هذا السؤال ولا توارب .فالإنسان خلق عبدا للآلهة يقدم لها طعامها وشرابها ويزرع أرضها ويرعى قطعانها[110] .

تشير هذه الأسطورة الى انه بعد أن تم خلق الكون والآلهة توجب على الآلهة العمل وتزويد أنفسهم بالطعام والشراب ،فقد وصل الآلهة الصغار العاملون الى مرحلة الاجتهاد والشقاء فذهبوا ليشتكوا للإله انكي الذي كان نائما في أعماق المياه ولكنهم لم يدخلوا إليه ،غير ان الآلهة (نمو) وهي الآلهة السومرية الأم الأولى ،التي ولدت كل الآلهة أخبرت ولدها انكي بشكوى الآلهة .

[110] الاب سهيل فاشا اثر الكتابات البابلية في المدونات الثورانية ص 135

ولأجل خلقة الإنسان عُقد حفل كبير حضره كل الآلهة، وشربوا فيه الخمر وسكروا، وهتفوا لإنكى الذي اقترح صنع إنسان ليحمل العناء عن الآلهة، ولكن الإلهة "ننماخ " امتلأت بالغيرة والغيظ من "إنكى"، ولاسيما أنها الموكلة بتكوين الكائنات، وحدث تنافس وتحدى بين الإلهة "ننماخ " والإله "إنكى " عمن يصنع الإنسان صنعًا حسنًا..؟ أخذت "ننماخ " حفنة من الصلصال وصنعت ستة أشخاص، ولكن كل منهم له عيبًا، ولم يكن بينهم شخصًا كاملًا حسنًا، وجاء دور "إنكى " فصنع إنسانًا بائسًا وآخر مريضًا، فاحتجت عليه "ننماخ " بشدة، حتى أن إنكى قدم أسفه الشديد للإلهة "ننماخ "[111].

وانتهى الأمر بإشراك كل الآلهة في خلق الإنسان، وفعلًا خلقت الآلهة إنسانًا كاملًا من الصلصال، خلقته ذكرًا وأنثى فتزواجا وأنسلا وتكاثر البشر على الأرض، وحملوا عبء العمل عن الآلهة الذين ابتهجوا وراحوا يرتعون في معابدهم، وعندما زاد عبء خدمة الآلهة على البشر قرروا (البشر) رفع شكواهم للإله "آن " المقدَّس[112].

تعد أسطورة خلق الإنسان السومرية أول ما خطته يد الإنسان، ومنها أخذت بقية الأساطير التي تحكى عن قصة خلق الإنسان من الطين، وإنه خُلق على صورة الآلهة، ويقول "صموئيل نوح كريمر ".. "إن المفكرين السومريين.. اعتقدوا اعتقادًا جازمًا بأن الإنسان صُنع من طين، وإنه خُلق من أجل غرض واحد فقط، ذلك هو أن يعبد الآلهة ويخدمها بتزويدها بالطعام والشراب والمسكن ليتوافر لها وقت الفراغ لأعمالها الإلهية".

<u>المكونات البنيوية للمنظومة الفكرية السومرية:</u>

- **الدين :**

يعتبر الدين السومري أول نظام ديني عميق بدأ مع بدأ العصور التاريخية للإنسان،فكان بمثابة ثورة روحية عميقة في عصره لأنه كان نظاما دينيا شاملا ، وقد تميزت ديانة ما بُين النهرين في هذه الفئة بتعدد الآلهة، كما أن هذه الآلهة اتصفت بصفات تشه البشر في النواحي المادية والمعنوية ، وقد تفوقت على البشر بالخلود والقدرة المظلمة حيث تعددت المعابد التي تقيم فيها الالهة حيث أن العراقيُين القدماء كانوا يعبدون عبادة الظواهر الطبيعية التي كان لها تأثير على حياهتم، كما خصصوا آلهة خاصة لكل مظهر من مظاهر حياهتم (الطب، الحكمة، المعرفة).[113]

- **الفن :**

---

[111] المرجع نفسه ص 165

[112] الاب سهيل فاشا اثر الكتابات البابلية في المدونات الثورانية ص 165

[113] خزعل الماجدي ،متون سومر التاريخ ،الميثولوجيا اللاهوت الطقوس،مرجع سابق ص 46

وكان الفن السومري انعكاسا لمعاناة السومريين ونمط حياتهم الاجتماعية، ويعود تجريد الفن السومري إلى ما حل بالإله تموز على يد شياطين العالم السفلي، فإن المأساة التي يعيشها أحيانا من يتكفل بمهمة استنزال المطر، وزيادة الخصوبة بالطرق السحرية، قد هزت مشاعر الفنانين فأصبحت طابعا يميز فنونهم وآدابهم، مثلما صارت معاناة السيد المسيح طابعا مميزا للفنون المسيحية، إذ إن أقدم النماذج الفنية السومرية ليست إلا تعبيرا صريحا للمعاناة التي كان يتحملها الكاهن الذي تفشل ممارساته السحرية في استنزال المطر وزيادة الخصوبة.[114]

كما أبدعوا في مجالات أخرى متعددة كالصناعة والتجارة والفنون وإدارة شؤون الدولة، وكانت لهم القدرة في صنع المجوهرات، وسبائك الذهب والفضة، بالإضافة إلى أن السومريين هم أول من استطاعوا بناء السفن الضخمة، ورسموا خرائط البحار والمحيطات، كما أتقنوا فن الملاحة، وجابوا حول العديد من الأماكن حول العالم.

[114] عوض رياض ،مقدمة في فلسفة الفن ، جروس برس طرابلس لبنان ط1 سنة 1994ص ص 163

المحاضرة الثامنة : الفكر المصري:

تاريخية الفكر المصري .. طبيعته ومميزاته:

مما الشك فيه أن العديد من الباحثين والمفكرين يتفقون في القول بأن الحضارة المصرية هي من أقدم وأعرق الحضارات التي عرفتها البشرية، حيث استمرت ما يقارب حوالي 3500سنة، وتؤكد على ذلك الاكتشافات التاريخية، فالمصريون هم الذين قاموا بوضع أسس الفكر وإرساء الخطوط الأولى للعلوم والفنون، كما أنها لم تعرف حكم الشعب مما جعل حياتهم تتصف بالطاعة والولاء الكامل للملك الإله وهذا ما تضمنته نصيحة (**أمنحوتب**) القائلة بضرورة حراسة النفس في عالم ينتشر فيه الشر، إضافة إلى أنها في جوهرها دينية وامتد الدين إلى جميع مجالات الحياة، وهي من أكثر الأمم تدينا حسب رأي هيرودوت[115].

فقد تميزت الحضارة المصرية القديمة بميراثها في مجال النحت والرسم واكتشاف اللغة الهيروغليفية وإقامة الدولة وتأسيس جملة من المذاهب والعقائد الفكرية والدينية وهي كما قال المؤرخ اليوناني هيرودوت "مصر هبة النيل".. ،فالنيل حياة المصريين ،ولولاه لما كانت هناك حياة، وقد كتب "هيرودوت فلقد كانت حضارة مصر حتى في زمن هيرودوت حضارة عريقة ضاربة في القدم.

وكان النيل يأتي متدفقا من جبال الحبشة ليحي أرض مصر ويرويها من خيره الوفير ،وكان الفلاح المصري أصيل المنبث يدرك أهمية النيل ،وكان لزاما عليه أن يجد حتى يستفيد من تلك الهبات التي وهبتها له الطبيعة ،ليزرع ويحصد ويقوم بتخزين الفائض لاستغلاله وقت الحاجة. وهكذا أصبحت دور الحياة في الطبيعة متكاملة العناصر،وتلك ظاهرة لا نكاد نجدها في نهر آخر من انهار العالم ،فقد ميزت هذه الظاهرة ارض مصر منذ فجر التاريخ ،وربما كانت العامل الأساسي لاستمرار الحياة والحضارة وتجددهما في مصر على مر السنين.[116]

فالإنسان الذي عاش على اتصال وثيق بالطبيعة وارتبط بها في تسيير حياته اليومية جعلته يصفى عليه حياة خاصة ،وأصبحت تفوق كل ما في الوجود لأنها تختلف عما حوله في الطبيعة وجعلهما في مكانة عالية ،كأن فيها روحا تتحرك ،وكان المصريون يشخصون كل شيء تقريبا ويمنحونه شرف الوصول الى مرتبة الآلهة . [117]

إذن فشعب مصر نمى وتكون بفضل نعم الله عليه من شمس ونيل ،فنجده مدينا للشمس بالقناعة والمرح ،وللنيل بروح النظام والطاعة ،وهنا قامت دولة فجعلت من فرعون إلها ،ومن العمل ضرورة ،ومن الري فنا ومن العقل والجلي مبدأ، وبالرغم من قلة الأغنياء فإنهم يفرضون على الفقراء أعباء العمل اليدوي،وخاصة أعمال الري ،ولكن هؤلاء الفقراء كانوا

---

[115] ناضر زاهي، الفلسفات الشرقية موضوعاتها أعالمها مدارسها، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع دط، د س، ص10-11.

[116] عفاف فوزي نصر، الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ص 20

[117] عفاف فوزي نصر، الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ص 22

يعملون بنفس راضية راضين بعملهم وحياتهم ،يستمدون قوتهم من قوة شمس مصر وصفاء جوها ،ويجعلون سخاء النهر العظيم الموزع للحياة والناس هبات الحياة على ضفاف النيل مع ما يثقل كواهلهم من اعباء والقنوات قصيدة هؤلاء الناس والاسداد رواياتهم والاهرام فلسفتهم.[118]

كما لعبت العقيدة الدينية دورا مهما في النفس الانسانية ،فهي لازمة الحياة الانسان ولا يستطيع ان يحيى بدونها ولأن الدين هو الذي يفسر للانسان سر هذا الكون ،فاخد الانسان ينظر حوله يتفحص كل شيء موجود بالطبيعة التي يحيا بها ولها .

مما سبق يتضح لنا ان البيئة المصرية والعقيدة الدينية قد لعبتا دورا مهما في غرس بعض المفاهيم العقلية والافكار التأملية لكل ماهو موجود بالطبيعة وتجسيد كل ذلك على شكل أفكار فلسفية تأملية ،تكشف النقاب عن كل ماهو محجوب عن العقل والبصيرة ،وتشفى صدور السائلين وتجيب عن اسئلتهم واستفسارتهم الخاصة بالطبيعة والطون والدين والعالم الاخر.

<u>طبيعة الفكر المصري القديم</u> :

هناك مجموعة من القضايا والحقائق التي تمثلها الفكر المصري القديم، وهي على النحو التالي:

- **الفكر أساس الوجود:**

ظل الانسان يفكر كثيرا في سر خلق الكون ذاهبا الى ماوراء الميثولوجيا بما هي تاريخ إلهي وصولا الى النبع الأول الذي انبثق منه الواقع ،من اجل التعرف على رحم الوجود وإماطة اللثام عن سر خلق الكون والوجود ،وذلك بالتفكير المنظم الذي يسعى الى التعرف على البدء المطلق وفهمه،حيث ان الشك بداية الفكر والتساؤل بداية الفلسفة .[119]

فكان من الطبيعي ان تكون أول القضايا التي تشغل فكر الانسان المصري القديم ،قضية تفسير هذا العالم الطبيعي واصل وجوده، فالانسان المصري شأنه في ذلك شأن كل البشر في العلم منذ فجر التاريخ كان مشغول بقضية الخلق كيف جاء هو وهذا العالم الى الوجود؟ ومن صنعه وصنع هذا العالم ؟وماهي القوى التي تتحكم في حركته وفي حركة هذا العالم ؟وكيف يمكنه ان يرضى هذه القوى الطبيعية المختلفة ويتجنب خطرها وشرورها وكيف يمكن ان يستجلب خيرها وينال رضاها؟

فقد تخيلوا منذ فجر تاريخهم وجود ارباب متفرقين فرادى بأمور السماء والارض والماء والهواء والشمس والقمر والمطر والخصوبة والنماء ....الخ وشيئا فشيئا بدأو يطورون فكرهم

---

[118] المرجع نفسه ص ص 22 23

[119] عفاف فوزي نصر، الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ص 28

تجاه هذه الارباب فيؤلفون بينها وينظرون الى علاقاتهم بقضية الخلق نظرة فلسفية تتجاوز الفهم المادي لعناصر الوجود الى ماوراء هذا العالم المحسوس ،واختلفت رؤاهم الفلسفية لأصل العالم والوجود نتيجة لاختلاف الظروف السياسية والاجتماعية مرة او نتيجة للتنافس بين مدنهم مرة اخرى او نتيجة لدرجة النضج العقلي التي كانت تحكم هذه الرؤى مرة ثالثة.[120]

واذا ما اخدنا بعض التفسيرات حول اصل العالم او الوجود نقرأ في نص قديم بعنوان تمثيلية "منف" ما يفيد أن المصريين يذهبون إلى القول بأن أصل العالم هو الفكر وأن الله هو الذي أوجده ففي النص هنالك إشارة حركية إلى هذا المعنى نقرأه في هذه العبارة "أعلن أسماء كل الأشياء.. وهو المتسبب في كل ما يظهر.. واللسان الذي يعلن عن فكر .. الخ.." تفيد هذه العبارة أن الفلسفة في مصر القديمة ترى أن الفكر والله هو الذي أوجد العالم[121]

وهنا تبدأ قصة "بدء العالم "الذي خلقه "بتاح" معروضة في اسلوب فكري رفيع ،ففكرة الخلق تبدأ في العقل او القلب ثم يتحقق من خلال الكلمة المنطوقة للسان او الامر ،وما الالهة الاخرى إلا اللسان والقلب والاسنان والشفاه للاله "بتاح"[122]

- **الاخلاق :**

الاخلاق ضرورة انسانية فردية واجتماعية ،فالانسان ذلك المخلوق الذي كرمه الله،وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا ،ومن عليه بنعمة العقل والادراك ،تنازعه الشهوات وتستميله الطموحات ،ويمكن للأولى ان تهبط به ،ويمكن للثانية ان تصل به الى اعلى درجات السمو والارتقاء النفسي والعقلي ،فلا بد –إذن- من قواعد للتمييز بين الحق والباطل ،الخير والشر ،الصواب والخطأ ،بل لا بد من تربية خلقية خلقية سديدة تمكن الانسان من التغلب على دواعي الهبوط والانحلال التي تفتك به ،ولأجل تقوية نوازع الخير فيه [123]

وتعد الاخلاق عنصر أساسي من عناصر وجود المجتمع وبقائه،ومقوما جوهريا من مقومات كيانه وشخصيته ،فلا يستطيع أي مجتمع ان يبقى ويستمر دون ان تحكمه مجموعة من القوانين والقواعد التي تنظم علاقات افراد بعضهم بعض وتكون لهم بمثابة المعايير المعتمدة في توجيه سلوكهم وتقويم انحرافهم.

---

[120] مصطفى النشاز ،الفلسفة الشرقية القديمة، مرجع سابق ص36

[121] المرجع نفسه ص 51

[122] جمال المرزوقي: "الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي،مرجع سابق ص 79

[123] جمال المرزوقي: "الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي ،مرجع سابق ص 181

ميّز المصريون منذ القدم بين فعلين مختلفين: الفعل المرغوب فيه، الفعل المكروه. و ربطوا ذلك بمسألة العقاب والثواب يفيد ذلك ما نقرأه في نص التمثيلية التي تقول "تمنح الحياة للمسالم وتمنح الموت للمذنب" المسالم هو الذي يفعل ما هو مرغوب والمذنب هو من يفعل ما هو مكروه.

كما اهتموا بالفكر الأخلاقي عمليا دون التنظير له، فإيمانهم بخلود النفس والبعث بعد الموت وإيمانهم أيضا بالثواب والعقاب كان دافعا إرساء فكر أخلاقي عملي ديني، وهكذا ارتبطت الميتافيزيقا بفلسفة أخلاقية عمادها العدالة والنظام، فالابتعاد عن الآثام والشرور هوا ساس الخلود والنجاة من عقاب الآلهة في الحياة الأخرى؛ لأن الآلهة في يدها مصير البشر وإدارة شؤون العالم ،كما تتصف بعمل الخير وإذا احد ثث شرا فالعقاب المذنبين ، وفي بعض الوصايا المصرية نجد الآلهة تفضل الاستقامة على تقديم القرابين، فالرجل المتخلق أفضل من تقديم ثور من رجل شرير[124].

من هنا برزت تعاليم المفكر **"بتاح حوتب" الاخلاقية** التي جعلت السعادة مرتبطة بالعمل وذلك بقوله: "اجمع إمكانياتك (قلبك) للخير بمعنى ركز انتباهك(لفائدة سيدك وكن حذرا "، ويضيف قائلا: "كن سعيدا طالما أنت تعيش ولا تختصر (تضيع) الوقت الموقوف للسعادة لأنه من المكروه (ألكا) أن تضيع وقت السعادة، ولا تشغل نفسك بالنهار في العمل أكثر مما هو إلزم احتياجك الشخصي "، والغرض من العمل هو رضي الله؛ لأنه سيلقى جزاءه، فإن كان خيرا ثوابا لقي فيصير خالدا، أما إذا كان شرا عقابا يجزى في ولادات متكررة.

- **النفس ومسألة الخلود:**

اعتقد الإنسان المصري القديم بفكرة انفصال النفس(**ألكا**) عن الجسد(**ألبا**). النفس في تقديرهم خالدة وبأن الموت هو موت للجسم فقط وليس للنفس ومن ثم فإن النفس ستبحث عن ذلك الجسد بعد الموت ،وحينما تعثر عليه تبدأ حياة الإنسان الأخرى ،ومن هنا كانت محاولات المصريين القدماء للإبقاء على الجسد عن طريق تقنيتين وهما **التحنيط وبناء الأهرامات** .

وآمنوا بفكرة الخلود ـفقد تأمل الإنسان المصري ظاهرة الموت وحاول أن يجد لها حلا بعد أن سيطر على مقدرات الطبيعة وسخرها لخدمته وجد أن كل ما حوله يموت واد أن يفلسف هذه الظاهرة فكما امن بان الموت يعقبه البعث وان للإنسان حياة أخرى بعد هذه الحياة التي يعيشها على هذه الأرض ،وكان أن برر أفعال الإنسان في هذه الحياة الدنيا بما فيها من خير وشر لابد انه سيثاب على الخير منها ويعاقب على ما فعله من شرور ،فكان الإيمان بالحياة

[124] المرجع نفسه ص 182

الأخرى او بالخلود هو الدافع الذي يدفع الإنسان دائما الى فعل الخير والبعد عن ارتكاب الآثام .[125]

❖ نظريات العدالة وفلسفة الماعت (الحق والاستقامة):

إن **"الماعت"** في اللغة المصرية القديمة تعني "الضبط، وإعطاء الاتجاه الصحيح"، وهذا المعنى في بعده الديني والأخلاقي يفيد العدل والحق والاستقامة. و**"الماعت"** بهذه الدلالات والخلفيات هي جوهر الحياة المصرية القديمة. وهي "تلخص الرؤية الفلسفية المصرية القديمة للجوانب الاجتماعية والفكرية والكونية.[126]

فكانت **"ماعث"** هي كلا من النظام الكوني والأخلاقي اللذين يعملان معا في جميع الظروف تبعا لوجهة نظر الإنسان عن نظام الكون" إذن فقد تشكل العالم وفقا لـ **"الماعث"**، والإله هو الخالق للعالم والضامن لاستمرار **الماعث**، حتى لو حاول بعض البشر مخالفتها.

وانطلاقا من ذلك اعتقد الإنسان المصري القديم في مبدأين مهمين؛ أولهما: أن الكون كما خلقه الإله غير قادر على أن يعيش بدون **"الماعث"**، وثانيهما: هو أن الكون غير قادر على أن يعيش ويستمر بدون الدولة الفرعونية، فالفرعون الملك الذي هو الإله على الأرض، هو القادر على فرض "الماعت" والحريص على استمرار وجودها بين شعبه

❖ حقيقة "الخلق" في الفكر المصري القديم:

إن "الإله" في المخيال والمعتقد المصري القديم هو أصل وجود الحياة وصيرورتها، وهو يتجلى في مختلف مظاهر الوجود، عن طريق الخلق المستمر لهذا الوجود من دون أن يؤدي ذلك إلى اتحاده مع الكون أو الحلول فيه (وحدة الوجود).

وأما عن سؤال كيفية الخلق، يرى الفكر المصري القديم في سرديته لذلك؛ أن "جميع الموجودات كانت في الأصل في قلب الإله، وذلك على شكل تصور ــ ولم يكن القلب عند المصريين يعني شيئا سوى العقل والذهن والفكر. ثم كانت الكلمة ـ نطق الإله الدال على الصور (الأشياء)، في إرادته على اتخاذها الشكل المحسوس، فاتخذ التصور شكلا عمليا، وكان العالم. وهكذا خلق الإله، بالتعبير بلسانه، عما يفكر فيه بقلبه أو عقله. إنه هو القلب الذي يبعث كل تأثير، وإنه اللسان الذي يردد فكر القلب، ولقد صارت كل كلمة إلهية إلى الوجود بفكر القلب وأمر اللسان. وكل الأشياء موجودة أولا في فكر الإله، وهذا العالم كان

[125] مصطفى حسن النشاز ،الفلسفة الشرقية القديمة، مرجع سابق ص 114
[126] المرجع نفسه

تصوره أولا في قلبه. ثم اتخذ واقعية موضوعية بنطق لسانه. إن نقطة الفكر في صورة إذن إلهي هي التي أوجدت العالم. [127]

❖ علاقة الفلسفة بالفن المصري القديم

لنا أن نسافر إلى الحضارات الشرقية ونحط الرحال في أعرق الحضارات القديمة، وهي حضارة مصر العريقة لنرى تلك العلاقة بين إنسان وادي النيل والفن.

في هذه الحضارة سنرى إنفعال انسان وادي النيل كلما تأمل جريان النيل فتخيل الأزلية والأبدية، وانفعل بشروق الشمس وغروبها فتولدت لديه تصورات شكلت نواة عقيدته التي أصبحت عماد الحياة ومحور الأدب وموضوع الفن، وتوصلوا إلى فكرة الخلود وفلسفة الحياة والموت وتخيل الحياة بعد الممات، فجاشت النفس بملامسة الطبيعة، وتكلم الحجر الأصم بتماثيل ومعابد تميزت بطابع الجلال معبرة عن الخلود والأبدية، وتكونت الحضارة المصرية الشامخة على مر الدهور من خلال ما أنتجوه من فنون تصارع الزم،[128] ففي الفن المصري القديم ظهرت أشكال للآلهة في تماثيل ورسوم غائرة فوق الجدران وفي المعابد والمقابر وعلى صحائف من ورق البردي، صور الفنان المصري القديم الآلهة بأسلوب رمزي، جمع فيه رؤوس الطير أو الحيوان أو الزواحف فوق الأجسام البشرية، حتى الحشرات كالعمران نحتت كأشكال مقدسة، وكان الأدب الديني في مصر القديمة يتألف من فرائض العبادة والأناشيد الدينية وشذرات من الأساطير وأخيرا صلوات بالنيابة على روح الميت، ثم وصف لما تلاقيه أرواح الموتى في العالم الآخـــــر من حساب وما يلحقها من عقاب أو ثواب، وقد كان هذا الأدب تعبيرا عن روح جماعية يفتقد إلى الفرد وذلك لأنه أدب لاهوية فيه لشاعر أو أديب ...فكان الأدب تعبيرا عن رؤية دينية محضة، فالمضمون الديني ينوء بكله على روح الأدب.[129]

وقد أكد الباحثون على أن فن التصوير المصري القديم لم يكن يبدي إحتقارا للعمل اليدوي، وذلك تأسيسا على أن علاقات الإنتاج في المجتمع المصري لم تكن في معظمها علاقات عبودية، ويضيفون إلى ذلك أن المجتمع المصري كان يعبر عن اليقين الثابت بأن لكل فرد مكانه المحدد وفق قواعد الطبقة والطائفة، ولكـن هـذه المسألة ليست مقبولة على هذا النحو؛ وذلك أن الفـلاح في مصــر كان يعاني مـن السخريـة والإضطهاد، وكان الفرعون يتخد صورة الإله وهو يملك كل شيء.[130]

---

[127] جمال المرزوقي: "الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي ص 79

[128] مصطفى عبدو مدخل الى فلسفة الجمال محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية ، الناشر مكتبة مدبولي ،القاهرة ط2 سنة 1999ص 38

[129] رمضان الصباغ الفن والدين،مرجع سابق ص 53

[130] المرجع نفسه ص 54

وقد إستعمل المصريون آلات موسيقية مختلفة قابلة لإبداع موسيقي متطور، كالمزمار والناي والقيتارة وغيرها، وكان للإيقاع في كل ذلك شأن أولي جعل الغناء مصحوبا بضربات من اليدين، ومن الصناجات والمزاهر، وما تبوح به الرسوم الجدارية أو النصوص الأدبية التي كانت معدة للغناء، مشيرة إلى مكانة الموسيقى في الحياة المصرية قديما،[131] أما خصائص الفن المصري فيمكن تلخيصها فيما يلي:

إن مجموعات معمارية كبيرة كالقصور والمعابد تتميز بغلبة الخطوط الكبيرة المتجهة أفقيا أوعموديا مستقيمة او قليلة الإنحناء، منها ما تتميز بنع من البناء ذي عوارض مسطحة ومستطيلة، ويقوم هذا اللون المعماري بتغطية البناء بحجارة مستطيلة ومسطحة يرتكز طرف كل منها على عمود من الأعمدة، فقد اكتسب المصري القديم فنه من عقيدته واستمد حكمته من فنه، فلمس الوجود لمسة الروحاني الفنان، فأقدم على تحقيق أضخم المشاريع المعمارية والتماثيل والرسوم الجدارية الوثائقية، ومن أبرز مميزات الفن المصري القديم:

- واقعية الأسلوب و معقوليته
- التخلي عن المنظور و خداع النظر
- التعبير عن عقيدة الخلود .

ويعد (أخناتون) أول مجدد للفن، فقد كان الفن حبا جديدا للحقيقة الواعية وحساسية ورهافة شعور، فحاول الفنان تصوير الحياة الروحية الباطنية حاوية للمعاني الجمالية المرهفة، و أن الفن المصري القديم نشأ ليحفظ الحياة بعد الممات تأكيدا لخلود الروح والجسد وهذا ماجعله يتميز بكونه فن الحياة وما بعد الحياة، فأبدع آثارا خالدة تعد نشيد الحياة الخالدة،واذا كان الفن مرآة تعكس حضارة الشعوب ووسيطا يعبر بواسطته عن قناعات ومعتقدات وأحاسيس الشعوب، فإن المصريين القدماء قد أنشأوا دون شك فنا صادقا غذته البيئة المصرية وتعهده العقل المصري، وطورته الأحداث السياسية منها والاجتماعية وفرضت عليه العقائد الدينية طابعها.

[131] اتيان سوريو ،الجمالية عبر العصور ،تر ميشال عاصي ،منشورات عويدات ،بيروت باريس ط 2، 1982 ص ص 51 52

محاضرة الفكر الشرقي وفعل التدوين (دراسة أسباب غياب الأثر)

تهدف هذه المحاضرة الى الكشف عن قضية إنسانية شائكة للغاية وخلافية الى اقصى حد ،الاوهي قضية الفكر الشرقي وفعل التدوين (دراسة أسباب غياب الأثر) وقد أصبحت مثل هذه الدراسة ضرورية وملحة ،بسبب الخلط والفوضى الفكرية والأخلاقية التي تحيط بهذه القضية ،فمعظم المؤرخين والعلماء والفلاسفة الغربيين يحاولون تعتيم هذه القضية ، من خلال الغرس في الأذهان ،إن اليوناني هو مبدع الفكر العلم والأخلاق والفن والرياضيات والفلسفة ... وغيرها ،وكأن الحضارة اليونانية خلق عبقري أصيل جاء على غير منوال ،لم تسبقها حضارات اخرى ،ولم تتصل بها مصر القديمة ولا كنعان ولا بابل ولا اشور ولا فارس ولا الهند وللا الصين ... بل هي في زعمهم ،أروبية النشأة والتطور.

إن البحث العلمي في تراث الشرق القديم والكشف عن كنوزه المخبأة لازال حديث الكثير ،وقد يكشف المستقبل من آياته ما يغير نظرتنا لتراثه ،وفي تعاون الباحثين من علماء التاريخ والاجتماع واللغة والآثار ونحوها على التنقيب عن تراث الشرق ما يبشر بالكشف عن كنوزه من النظر العقلي الشامل عند الهنود والمصريين والصينيين والفرس .... وينذر بوضع التراث الشرقي في مكانه اللائق من تراث للعقل البشري بوجه عام.[132]

إلا أن هذا العلم في نظر دعاة المعجزة العلمية اليونانية كان يعتمد على الخبرة والتجربة المتوارثة ،وان تلك الحضارات كانت تكتفي بالبحث عن الفائدة العلمية او التصرف الناجح دون سعي الى حب الاستطلاع الهادف الى معرفة أسباب الظواهر ،كما أن تلك الحضارات لم تملك نفس القدر من البراعة في التحليل العقلي "النظري لهذه المعارف. [133]

[132] محمود محمد علي محمد: "الفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول ،مرجع سابق ص 03
[133] المرجع نفسه ص 3

وكان البابليون والكلدانيون قد سبقوا الى مشاهدة الكواكب ورصدها ،فأنشاو بهذا علم الفلك العملي ،ولكنهم كانوا مسوقين بأغراض تنجيمية او علمية (كمعرفة فصول الزراعة ومواساة التجارة ونحوها) .

وقد كانت عظمة اليونانيين انهم استطاعوا ان ينقلوا بشغف كل ما وقعت عليه اعينهم وعقولهم من للتراث السابق عليهم ،وان يهضموه هضما يتلائم مع بيئتهم الخاصة ،وان يحولوا هذه المؤثرات الوافدة الى شيء شبيه بتراثهم هم ،وان ينتقذولا هذا وذاك شيئا فشيئا حتى استطاعوا في النهاية ان يتجاوزوا المرحلة الشرقية في العلم ،وان يبدأوا مرحلة جديدة متميزة

يقول الدكتور فؤاد زكرياء ان الفئة التي كانت تمارس العلم في حضارات الشرق القديم ،وبالذات في الحضارة المصرية كانت فئة الكهنة التي حرصت على ان تحتفظ بمعلوماتها العلمية سرا دفينا تتناقله هذه الفئة جيلا بعد جيل دون ان تبوح به الى غيرها ،حتى تظل محتفظة لنفسها بالقوة والنفود والمهابة التي تولدها المعرفة العلمية ـ،وحتى تضفى على نفسها وعلى الالهة التي تخدمها هالة من القدسية امام عامة الناس الذين لايعرفون من العلم الا قليله.

لقد كان لدى الشرقيين عناصر هامة من التفكير الفلسفي والحكمة الفلسفية، لكن هذه العناصر لم ترتق إلى مستوى البحث النظري المنظّم والنظرة الكلية الشاملة، لقد ظلت محجوبة بسحب كثيفة من المذاهب الدينية والأساطير الشعبية والاهتمامات العلمية، ظلت مفككة مقطعة الأوصال ، لكنها أصالة لها طابع متميز وملامح تركت أثارا على التفكير اليوناني والإنساني كله[134].

ويكاد ينعقد الرأي على ان الشرق القديم قد سبق اليونان الى ابتداع حضارات مزدهرة تقوم على علوم عملية ناضجة ،ودراسات نظرية دينية قيمة .فأما من العلوم العلمية فلابد ان نشير الى ان قدماء المصريين كانوا أول من ابتدع الرياضيات والميكانيكا استعانوا بها على إقامة الأهرامات التي مازالت تتحدى الزمن ،وأقاموها لحفظ الجثث المحنطة اعتقادا منهم في خلود النفس وحساب اليوم الاخر وتوسلوا بعلم الكيمياء في تحنيط الجثث واستخراج العطور والألوان ،وأول من اخترع الكتابة وانشأ الكتاب وأقام المكتبات وشاد دور الكتب ،وان البابليين والكلدانيين كانوا أول من درس الأجرام السماوية وأنشأ علم الفلك ..وفي مثل هذا يقال في سائر الشعوب الشرق القديم من حيث سبقها للغرب في مجالات البحث التجريبي [135]

[134] مرحبا محمد عبد الرحمان، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسالمية، المرجع السابق، ص 60.
[135] محمود محمد علي محمد: "الفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول ، مرجع سابق ص 3

اما عن التفكير النظري الديني فمن دلالات سبق الشرق للغرب في مجالاته ماخلفه لنا قدماء الشرقيين من وجوه النظر العقلي في الإلوهية والبحث والخير والشر والمبدأ والمصير ... وغير هذا من مجالات توصلوا الى آراء تردد معناها بعد ذلك عند قدماء من فلاسفة اليونان .

صرحوا بان الله خلق الكون من عدم ،وكانت الآلهة عند غيرهم من الشعوب تقوم بتنظيم المادة ولا تتجاوز التنظيم الى الخلق ،توصلت "الزرادشية "الفارسية الى الثنائية التي ارتد فيها العالم الى اله للخير واله للشر او مبدأ للحياة ومبدأ للموت ،كما عرف الهنود منذ اقدم العصور حلول الله في مخلوقاته ...

وقد سطعت انوار التفكير المجرد وتلألأت في وضوح ولا يطعن في هذا ان يقال ان الحياة العقلية عند الشرقيين كانت أوثق اتصالا بحياتهم الدينية منها بالتفكير الفلسفي الخالص ،فقد امتزج التفكير الفلسفي بالتفكير الديني في شتى عصور الإنسانية حتى ليمن القول بأن كل محاولة تهدف الى الفصل التام بينهما تنتهي لا محالة الى العجز عن فهم كليهما [136]

والقول بأن اليونانيين قد أبدعوا فجأة ودن سوابق أو مؤثرات خارجية عبقرية في مختلف الميادين ومنها العلم هو قل ما يتنافى مع المبادئ العلمية التي تؤكد اتصال الحضارات وتأثيرها بعضها ببعض ،بحيث تؤثر الحضارة السابقة في الحضارة اللاحقة وتتأثر هذه بتلك تأثرا تتعدد أبعاده تارة وتختلف مجالاته وتتفاوت درجاته تارة أخرى .

كما تظهر دراسة تاريخ الفن المصري أن المصريين كانوا يعتقدون أن الفن الذي يقوم على نظام دقيق من النسب والأبعاد ،إنما هو يعبر عن شكل سامي مطلق دائم الوجود ،لأنه يعبر عن نظام الكون وليس عن مظهره ولهذا رأى أفلاطون أن الفن المصري لا يحاول محاكاة الطبيعة في مظهرها ،وان يسعى الى التعبير عن الحقيقة الخفية وراء المظهر ،فالفن عنده يجب ان لا يعبر عن العالم الذي نراه بأعيينا ،ولكن عن الوجود الكوني الذي ندركه عن طريق التحليل الفلسفي والعلمي ،واصر على ضرورة ان يكون العمل الفني جميلا ،فالجمال شرط اساسي عنده في الفنون ،الا ان هذا المفهوم يتفق تماما مع الفنانين المصريين الذين يرون ان الجمال الحقيقي هو جمال الروح والفكر وليس جمال العالم المحسوس.[137]

تبين لنا من تعليقات أفلاطون خلال زيارته لمصر على الفن المصري واطلاعه على نماذجه وتعرفه على الطريقة الحرفية التي اعتمد عليها المصريون في تنفيذ أعمالهم الفنية ،مما لا يدع فرصة لإنكار الروايات التي تواترت على التأكيد بأنه زار مصر وقضى بها

---

[136][136] اسس الفلسفة توفيق الطويل ص 35 36

[137] جمال المرزوقي: "الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي ،مرجع سابق ص 56

بعض الوقت ،هو ان فلسفة أفلاطون تمثل القاعدة الأساسية التي قامت عليها حضارة الغرب المسيحي مند عصر الرومان [138].

وهكذا يتين لنا وجود اثر مصري في الحضارة اليونانية فقد اعترف المؤرخون اليونان أنفسهم بفضل الشرقيين عامة ومصر خاصة على اليونان وتتلمذ فلاسفة اليونان مثل فيتاغورس وأفلاطون على أيدي المصريين

لقد نحث المصريون ورسموا او لونوا عالما من النصوص ،وان افخم العمائر وابسط اشياء الحياة اليومية ،تشهد جميعها على حد سواء على اقدم فكر عبر عنه البشر في لغة موضوعية ،تخاطب العين ،كما تخاطب العقل ،وصاغها شعراء الطبيعة ،ومن تم تعرض على عقولنا وقلوبنا ،ثلاثة آلاف سنة من تاريخ العالم .

وبفضل قدرة الإنسان على التجريد يستطيع ان يخاطب أنسانا آخرا ،وان ينقل إليه بالكلمات مضمون أفكاره ،أي أن يمارس عليه الفعل ،ويلعب التعميم وتبادل الأفكار دورا في حفظ التجربة المكتسبة ونقلها ،وفي تنمية الفكر والمجتمع وكل فرد يعجز لوحده جسمانيا أن يعاني مباشرة ،ويدرس جميع مواضيع الواقع ،وجميع ظواهره ،وتوجد ظاهرات لا نستطيع إدراكها مباشرة مثل الأحداث الماضية للحياة الاجتماعية ،ولكننا نستطيع معرفتها بواسطة الكلمة المكتوبة (الوثائق) والرواية الشفهية.[139]

والحقيقة ان أي تنظير او تجريد ذهني ،إن أي بناء عقلي يتقوم ويتعدل **كما يقول الدكتور الالوسي** من خلال التجربة والممارسة الحياتية ،كما انه ينبع أساسا من هذا الأساس ،ان أي عمل يتضمن جملة معقدة من المفاهيم والأحكام والعلاقات العقلية العالية ،كما أن أية معرفة لشيء لا تتم إلا من خلال العمل ، من خلال ممارسته واختباره مباشرة عن طريق ممارسته.[140]

وحول هذا المعنى يقول الدكتور فؤاد زكريا : ولقد أحس الفلاسفة والمفكرون من عهد قريب نسبيا منذ حوالي قرن ونصف من الزمان ،بأن الفكر المجرد لابد آن ينتهي الى طريق مسدود وظهر لديهم وعي واضح بأزمة الفكر الخالص " وانه قد تأكد "ثبوت عجز العقل في مجاله النظري الخالص عن الانتهاء الى ؤأي قاطع حاسم في المشكلات الأساسية التي ظلت الفلسفة تشغل نفسها بها حتى ذلك الحين والتأكد من من ان الحل لهذه المشكلات انما يكون في المجال العملي ،لا النظري ، وهذا العامل كان نتيجة جهود مجموعة من كبار الفلاسفة على رأسهم ايمانويل كانط: ولابد ان المقصود هنا بعجز العقل "العقل التأملي "،ان مشكلات الميتافيزيقا مشكلات لا تحل إلا بالرجوع الى العلوم الاجتماعية التاريخية ،والعلوم الطبيعية

---

[138] المرجع نفسه ؤ ص 56 57

[139] جمال المرزوقي: "الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي ،مرجع سابق ص 59

[140] المرجع نفسه ، ص 60

الحديثة ،أي أن علوم الانثربولوجيا ،ونشأة الحضارات ،وحياة أفكار البدائيين ،ثم العلوم الطبيعية المعاصرة ،حيث سنجد في العلوم الاولى عند البدائيين ،بداية المشكلات الميتافيزيقية .

ونخلص الى القول انه من الجهل تماما ان يحذف الانسان دور واثر اية خدمة يقدمها الانسان مهما كانت او بدت ضئيلة ،في مجالات العلوم ،واستكشاف الطبيعة والحرف والاختراعات وشتى المجالات الاخرى ،كما انه من المبالغة وعدم الصواب تفخيم هذا الدور او ذاك ،الى حد نسيان الادوار التي مهدت له او التي تلته كما فعل انصار المعجزة اليونانية ،وكذلك فإنه من الخطر عزل الامور بعضها عن بعض في مجال التقييم.

والدين يريدون إن يبدوا الفلسفة بطاليس اول فلاسفة اليونان (القرن السادس ق .م) على اساس إن هؤلاء تركوا التفسير الميثولوجي ،إلى الطبيعي ينسون إن التفسيرات الطبيعية هذه ليست الا جزء من سلوك الفيلسوف ،فهو عمليا يزاول عادات قومه ومعتقداتهم وتجول في ذهنه تصورات مجتمعة ،ثم ينسى هؤلاء إن أوج ازدهار الفلسفة اليونانية متمثلة في تكوين المدارس الفلسفية بالمعنى العميق الكامل على يد أفلاطون وارسطوا والرواقية والافلاطونية المحدثة هو نفسه –اي هذا الاوج- حضيض العقلانية والرجوع إلى نفس المسلمات الغيبية للبدائيين موضوعة بكلام منمق ونظام فلسفي يخفي على غير الخبير معدنها الميثولوجي البحث .[141]

ولما كان مهد النظر العقلي هو الشرق القديم ،فقد وجب علينا ان نتعقبه في مواطن نشأته ونموه ،لتيسر لنا متابعته في شبابه ونضوجه ، كما فصلنا فيه في المحاضرات السابقة والان وجب عينا تعقب اسباب غياب الاثر او التدوين ولكن كثيرا من العلماء المحدثين يرون ان بحثا من هذا النوع يكون من العمر بموضع أن لم يكن متعذرا لسببين :

الأول ان فكرة بدء الخلق في الشرق تستمد عناصرها من الدين أكثر مما تستمدها من الفلسفة ،وان شئت فقل :ان الدين والفلسفة في الشرق شيء واحد ولهذا لم يعرف التاريخ نظرية فلسفية ظهرت في الشرق القديم مستقلة عن الدين وإنما مهد النظريات الحرة البعيدة عن كل التأثرات الدينية من غير استثناء هو بلاد الإغريق ،وهذا هو الباعث الأول الذي قلل من اهمية دراسة الفلسفة الشرقية في نظر علماء العصور الحديثة وحط من قيمتها عندهم[142]

الثاني ان المصادر التي وصلت إلينا عن فلسفة تلك الشعوب الشرقية قليلة لا تكفي لاشباع الرغبة العلمية عند الدارس المتقصي الذي لا يرضى من المشكلة باقل من الاحاطة بجميع نواحيها .لهذين السببين تعود اكثر العلماء ان يبدؤا بحوثهم عن الفكر البشري بالفلسفة

[141] محمد غلاب ، الفلسفة الشرقية، مرجع سابق ص ص 11 12
[142] المرجع نفسه ص 13

الاغريقية ،واذا عنى احدهم بدراسة الحياة العقلية في الشرق القديم درسها على انها ديانات لا مذاهب فكرية .[143]

يرى **ول ديورانت"** في مقدمة كتابه الضخم **"قصة الحضارة"** ان قصتنا تبدأ بالشرق لا لأن آسيا كانت مسرحا لأقدم مدينة معروفة لنا فحسب ،بل كذلك لأن تلك المدنيات كونت البطانة والأساس للثقافة اليونانية والرومانية ،التي ظن "بعض الغربيين" خطأ أنها المصدر الوحيد الذي استقى منه العقل الحديث ،فسيدهشنا ان نعلم كم اكتشفنا ضروبا لحياتنا اليومية ،وكم من نظامنا الاقتصادي والسياسي ،وما لدينا من علوم وآداب وما لنا من فلسفة ودين مرده الى مصر والشرق ،وفي هذه اللحظة التاريخية حيث الاتجاه كله في القرن العشرين يبدو وكأنما صراع شامل بين الشرق والغرب ،وفي هذه اللحظة نرى أن التعصب الإقليمي الذي ساد كتابنا التقليديين للتاريخ الذي تبدأ رواية التاريخ من اليونان وتلخص آسيا كلها في سطر واحد لم يعد مجرد غلطة علمية ،بل ربما كان إخفاقا ذريعا في تصوير الواقع ونقصا فاضحا في ذكائنا ،وان كان المستقبل يولي وجهة شطر المحيط الهادي ،فلا بد للعقل ان يتابع خطاه هناك.[144]

واما **"ايفانز لسنر** فيقول :في كتابه "الماضي الحي "لولا الشرق القديم لما أصبحنا على ما نحن عليه ،وبدون فهمه لن ينبني لنا قط معرفة أنفسنا ،لقد نقلت إلينا من السومريين مظاهر حضارية كثيرة عن طريق الأشوريين والبابليين والمصريين ،وكشفت لنا الحفريات في بلاد مابين النهرين عن جذور تطورنا الفكري والروحي ،ان الأبجدية التي نعرفها وعقيدتنا الدينية ونظامنا القانوني وفنونا ،انما رسمتها جميعا من قبل عملية تطور طويلة ،فمن بلاد مابين النهرين ومن السومريين جاء ما يمكن ان نعتبره انطلاق حاسمة في تاريخ الحضارات ،ألا وهو فن الكتابة .[145]

اما جورج سارتون فيعيب في كتابه تاريخ العلم على بعض العلماء الغربيين ،أنهم أهملوا في دراستهم للعلم اليوناني في ظاهرتين :ظاهرة الأثر الشرقي وظاهرة الخرافة الذي نشأ فيه العلم اليوناني ،وفي هذا يقول :"ومما افسد فهم العلم القديم كثيرا من الأحيان ظاهرتان من الإهمال الذي لا يمكن التسامح فيه ،والظاهرة الأولى تتعلق بإهمال العلم الشرقي ،فمن سذاجة الأطفال أن نفترض أن العلم بدأ في بلاد الإغريق ،فإن المعجزة اليونانية سبقتها آلاف الجهود العلمية في مصر وبلاد مابين النهرين وغيرهما من الأقاليم والعلم اليوناني كان إحياء أكثر منه اختراعا ،والظاهرة الثانية إهمال الإطار الخرافي الذي نشأ فيه العلم ..فكفانا سوءا أخفينا الأصول الشرقية التي لم يكن التقدم العلمي الهيليني مستطاعا بدونهما ،ولكن بعض

---

[143] محمد غلاب ،الفلسفة الشرقية ص 11 12

[144] محمود محمد علي محمد: "الفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول ص 81

[145] المرجع نفسه ، ص 82

المؤرخين اضافوا الى هذا السوء سوؤ بما اخفوا مما لا حصر له من خرافات يونانية عاقت هذا التقدم .

اما عن الاسباب الحقيقية للغياب الاثر الشرقي ترجع الى ذلك التطور البطيء للفكر الفلسفي في الشرق القديم نلحظه اذا ما نظرنا في العمق التاريخي لهذه الحضارات والقلة النادرة للمفكرين الافراد الذين انبتتهم هذه الحضارات اذ سنجد ان معظم الفلسفات التي ظهرت في الشرق القديم قد وجدت في كتابات تضافر فيها جهد الجماعة دون أن تنسب الى فرد معين ،فضلا عن ان الكتابات الفردية وهي قليلة وجدت على مسافات زمنية متباعدة مما يوضح ان النقلات النوعية التي تطورت من خلالها أفكار الشرقيين قد جاءت على فترات متباعدة ولعل سبب ذلك في اعتقادنا هو ان الفكر الفردي لفيلسوف الشرق القديم جاء في الأغلب معبرا عن فكر الجماعة التي ينتمي إليها مع تجديد طفيف ويتمثل تراث شعبه الديني والأخلاقي والاجتماعي والسياسي ويعبر عن ذلك في صورة حكم متناثرة أحيانا ، مؤلفة بشكل مذهبي أحيانا اخرى ،وحينما يأتي الفكر الفردي معبرا عن فكر الجماعة بهذا الشكل التصويري التبريري يتحول هو ذاته الى جزء من الفكر الجمعي لكل أفراد الشعب ومن ثم فهم يتقبلونه ،بما فيه من تجديد في الصيغ او في بعض الأفكار ويصبح موروثا يتناقله كل افراد الشعب او قطاعات كبيرة منه .[146]

وماقدمه **(بتاح حوتب)** مفكر القرن السابع والعشرين قبل الميلاد في مصر القديمة الا خلاصة التجربة الفكرية للمصريين القدماء منذ فجر تاريخهم وبذلك تناقله المصريون جيلا بعد جيل وأصبح الموروث المقدس في ميدان الفكر الأخلاقي والسياسي.

وكذلك الحال في الفكر الصيني ،فما قدمه كونفشيوس من فكر أخلاقي وسياسي لم يكن غريبا على التراث الصيني فالواقع انه قد استلهم في كل ما كتب وكل ماقال ذلك الكتاب الأعظم للتراث الصيني القديم كتاب "التغيرات"وهو كتاب مجهول المؤلف حمل بين دفتيه حكمة الاجيال الصينية المتعاقبة منذ فجر الحضارة الصينية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد حتى ظهور كونفشيوس في القرن السادس قبل الميلاد.

وهكذا الحال في بقية قطاعات الفكر الشرقي القديم ،ففكر بوذا قد انطلق من التعاليم الفيدية التي عبرت عنها نصوص الاوبانيشاد ،وفكر زرادشت قد جاء معبرا عن تراث الايرانيين القدماء في الاعتقاد بالثنائية الاخلاقية والثنائية الالهية ..الخ

ان ذلك التطور البطيئ رغم مافيه من عيوب تتمثل في غياب التشجيع للتجديد والابجاع الفردي وفي غياب حرية الفكر بشكل مطلق ،وفي سيطرة الفكر الجمعي وسطوته على نفوس الأفراد وعقولهم ،فأن فيه مع ذلك مميزات عديدة أهمها انه مكن لانصهار الإبداع الفردي في

[146] مصطفى حسن النشار: "الفلسفة الشرقية القديمة ،مرجع سابق ص 21

قالب الجماعة ككل ،فكان الفرد يبدع من خلال فكر جماعته ،وفكر الجماعة يتطور من خلال النظرات الفردية التي تأبى ان تعبر عن ذاتها بشكل مستقل.

السبب الثاني راجع الى ماتميز به الفكر الشرقي من النزعة العملية الشرقيين القدامى كانوا عمليين في تفكيرهم، أن كل إنجازاتهم الحضارية تحققت وتجسدت في هذا التوجه العملي. الأمر الذي جعلة لم ينتبه ولم يهتم بالنظر العقلي المجرد. " فالإنسان الشرقي القديم يختصر المسافة بين الفكر والواقع بشكل يبدو معه أنه لا يفكر إلا لكي يعمل". وذلك راجع إلى "خاصية أصيلة في الإنسان الشرقي عموما هي أنه لا يحب الإغراق في التفاصيل ولا يحب الاستماع إلى التحليلات النظرية المجردة، إنه دائما يبحث عن النتيجة أو جوهر الفكرة دون أن يهتم بالتفاصيل. وهو ما يفيد أن ما يهم الإنسان الشرقي القديم أن يعمل بما تتضمنه الفكرة ولايقف عند الفكرة في ذاتها ولذاتها.[147]

والحقيقة انه ربما يكون عدم تسجيل فلاسفة وعلماء الشرق القديم انجازاتهم الفكرية وأسرارهم مخترعاتهم العملية هو سبب هذا الاتهام ،فقد فرض المفكرون والعلماء السرية الشديدة على ما توصلوا إليه من أفكار ونظريات فلم يبدو لنا منها إلا تلك الانجازات العملية في ميادين العمارة والطب والهندسة وغيرها. وبالطبع هذه السرية كانت لها أسبابها السياسية والاجتماعية في بلاد الشرق القديمة حيث كان العلم مقصورا على طبقة الكهنة ،أولئك الذين استخدموا علومهم وأفكارهم الفلسفية في فرض السيطرة على عقول الناس والهيمنة على كل مقاليد الأمور فضلا على انه كان من المستحيل في ذلك الزمان نشر العلم النظري والمذاهب الفكرية بين عامة الناس وذلك لجهلهم بقواعد القراءة والكتابة ،فاقتصر امر تسجيل الأفكار والنظريات والأحداث التاريخية على قلة قليلة ممن عرفوا بالكتبة..

وعلى كل حال لفقد توالت المكتشفات الأثرية التي توضح مدى تهافت هذا الاتهام حيث اكتشفت العديد من النصوص في مختلف بلاد الشرق القديم التي تؤكد وصول فلاسفة وعلماء الشرق الى صياغة مبادئ الكثير من العلوم وصياغة عناصر منهجية عديدة للمنهج العقلي في فهم القضايا الإنسانية وعناصر جديدة للمنهج الاستقرائي في معالجة قضايا علوم الطبيعة وعلوم الحياة المختلفة فضلا عن صياغة مبادئ العلوم الرياضية خاصة الحساب والهندسة.

فالانسان الشرقي القديم يختصر المسافة بين الفكر والواقع بشكل يبدو معه انه لا يفكر الا لكي يعمل ،بل ان نمو فكرة وتطوير هذه الأفكار انما يكون من خلال العمل وتراكم الخبرات الناتجة عن العمل وممارسة الحياة اليومية .

ان المفكر الشرقي القديم عادة يقدم لنا نتائج تأملاته دون مقدماتها ،وهو لا يفضل ان يطلعنا على تفاصيل الافكار والتأملات والخبرات التي قادته الى الاعتقاد في هذه الفكرة او تلك ،انما

[147] مصطفى حسن النشار: "الفلسفة الشرقية القديمة ،مرجع سابق ص ص 23 22

يقدم لنا خلاصة افكاره وتأملاته في عبارات محددة يشوبها احيانا الكثير من الغموض والالغاز نتيجة انه لم يوضح لنا كيف توصل الى هذا الرأي او هذا المذهب الفكري المعين.

والحقيقة ان ذلك يرجع الى خاصية اصيلة في الانسان الشرقي عموما هي انه لا يحب الاغراق في التفاصيل ولا يحب الاستماع الى التحليلات النظرية المجردة انه دائما يبحث عن النتيجة او جوهر الفكرة دون ان يهتم بالتفاصيل ومن ثم جاءت فلسفات فلاسفة الشرق القديم معبرا عنها في عبارات مقتضبة تصل الى الفكرة المطلوب الاعتقاد من اقصر الطرق ولعل ذلك هو سر ذلك التفاعل بين ما أطلقه فلاسفة الشرق من أفكار ومذاهب وبين المعتنقين لها من معاصريهم او حتى ممن اتوا بعدهم اذ من السهل دائما ان يتناقل الناس فيما بينهم شفاهة هذه الأفكار ويتأثرون بها في حياتهم العملية العادية ،فتصبح هذه الأفكار بمثابة المرشد الذي يهدي الناس وتتحول فيما بينهم الى ارث عام يتناقلونه ويتاثرون به متناسين شيئا فشيئا نسبته الى صاحبه حتى يصبح فكرا مجهول المصدر .

إن المهم إذن عند الإنسان الشرقي هو ان يعمل بموجب هذه الأفكار ويتأثر بها في حياته العملية وتتوارثها الأجيال من خلال العمل بها وليس فقط من خلال حفظها وصياغته مكتوبة.

قائمة المصادر والمراجع

- مصطفى حسن النشار: "الفلسفة الشرقية القديمة"، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2011.

- ـ محمود محمد علي محمد: "الفكر الشرقي القديم بين الرفض والقبول"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2014.
- جون كولر: "الفكر الشرقي القدي"، ترجمة كامل يوسف حسن، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، العدد 199، يوليو 1995.
- جمال المرزوقي: "الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، دار الآفاق العربية، ط1، 2001.
- حمد غلاب: "الفلسفة الشرقية"، القاهرة 1938.
- حمد محسن: "تيارات الفلسفة الشرقية"، منشورات دار علاء الدين، دمشق 1999.
- 9 ـ فراس سواح: "موسوعة تاريخ الأديان"، الزراديتشية، المانوية.... الكتاب الخامس، مكتبة الفكر الجديد، 2018
- . ه.فرانكفورت واخرون :ماقبل الفلسفة ،الانسان في مغامراته الفكرية الاولى ،تر جبرا ابراهيم جبرا المدرسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان ط 1980.
- جيفري بارندر،ترامام عبد الفتاح امام المعتقدات الدينية لدى الشعوب
- اتيان سوريو ،الجمالية عبر العصور ،تر ميشال عاصي ،منشورات عويدات ،بيروت باريس ط 2، 1982.
- إسماعيل عز الدين ، الفن والإنسان،دار القلم بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة النشر 1974م .
- اهوستن سميث ،اديان العالم تر سعد رستم ،الهندوسية –البوذية –الكونفوشية –الطاوية- اليهودية- المسيحية –الاسلام –الاديان البدائية ط 3دار الجسور الثقافية حلب 2007240ه
- جيفري بارندر،ترامام عبد الفتاح امام المعتقدات الدينية لدى الشعوب سلسلة علم المعرفة العدد 173 1990 الكويت ص267.
- خه جاو وو / بو جين جي/ تانغ / يو / يوان/ صون/ كاي/ تاي:"تاريخ تطور الفكر الصيني"، ترجمة: عبد العزيز حمدي عبد العزيز، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004
- رالف لنتون ،تقديم محمد سويدي شجرة الحضارة ج 3 موفم للنشر 1990

- سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، دار المنشورات الثقافية، العراق، 1988
- صبري المقدسي: "الزرادشتية: المنشأ والجذور والعقائد الروحية"، الحوار المتمدن، العدد: 4083/ 5. 5. 2013
- عبد العزيز عبد الغني اصول الحضارة ،دار الفكر لنشر والتوزيع ص ص 138 139
- عفاف فوزي نصر، الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية ،ص 20
- غازي الصوراني: "بدايات الفكر الفلسفي في بابل ومصر القديمة"، الحوار المتمدن، 6662 – 2022 /09/15
- فراس سواح: "موسوعة تاريخ الأديان"، الزراديتشية، المانوية.... الكتاب الخامس، مكتبة الفكر الجديد، 2018
- فيليب حتي، موجز تاريخ الشرق الأدنى، تر: أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، 1965
- مرحبا محمد عبد الرحمان، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسالمية، المرجع السابق، ص 60.
- ناضر زاهي، الفلسفات الشرقية موضوعاتها أعالمها مدارسها، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع دط، د س، ص10-11.

1. [1] نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم-حضارات الشرق القديم العراق وفارس-ج 6، دار المعارف، لبنان، 1967
2. [1]*الصباغ رمضان الفن والدين،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الاسكندرية ،ط1 سنة 2003م ص 58
3. [1]عوض رياض ،مقدمة في فلسفة الفن ، جروس برس طرابلس لبنان ط1 سنة 1994.ص 162
4. [1]محمد عبد الله الشرقاوي ، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة ،دار الجيل بيروت ، مكتبة الزهراء ،جامعة القاهرة ط2 1990 ص 60
5. [1]مصطفى عبدو مدخل الى فلسفة الجمال محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية ، الناشر مكتبة مدبولي ،القاهرة ط2 سنة 1999ص 39